د. خالد يوسف

الأدب والوظيفة

في الوطن العربي

خلال النصف الأول من القرن العشرين

مؤسسة الرحاب الحديثة

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

الأدب والوظيفة في الوطن العربي
خلال النصف الأول من القرن العشرين

الكتاب: الأدب والوظيفة في الوطن العربي
خلال النصف الأول من القرن العشرين

الشخصية النموذج

عبد الحليم الحجار – لبنان

تأليف: الدكتور خالد يوسف

تنضيد وإخراج: حسين طه
h_k_taha@hotmail.com

تصميم الغلاف: القسم الفني في:
مؤسسة الرحاب الحديثة

الناشر

مؤسسة الرحاب الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون: 00961 3 359788 – فاكس: 00961 7 241032
ص.ب: 11/3847 بيروت – لبنان
بريد ألكتروني: E-mail: alrihabpub@terra.net.lb

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 2007 – 2008

المركز الإسلامي
مكتبة جامعة آل البيت
الرقم

الوظائف قبور للأدباء

سعد باشا زغلول

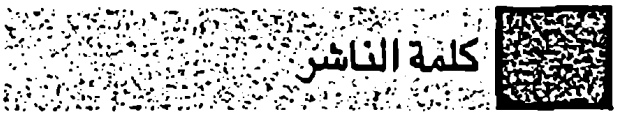

الأدب – بشعره ونثره – سيف ذو حدّين. حدٌ يقطع ليحمي ويبني وينمّي... وحدٌ يقطع ليتسلط ويكتم وينمّي كذلك. إنما نماء الأول للنّحن المتوحّدة، ونماء الثاني للأنا المتفرّدة. وبكلا الحدّين تتحكم الضرورة.

من هنا انطلق المؤلف في هذا الكتاب بتوصيف حياة ونتاج كوكبة من الأدباء العرب الموظفين يغطون مساحة شاسعة من الوطن العربي الكبير، كان اختيارهم عشوائياً، وشهرتهم متفاوتة، وأقوالهم فيها المشهور وفيها المغمور، وأخبارهم تكاد أن تكون نسياً منسيّاً. فللذكرى والعبرة والإفادة... كان هذا الكتاب الذي اصطرعت فيه المواقف...

ولما كان الفكر مشاعاً، ليس حكراً على صاحبه، أو وقفاً على أهله وأنسبائه وأبناء عشيرته ومحازبيه... ولّما كان المؤلف من الباحثين الذين عهدت فيهم النزاهة في نقدهم، والبعد عن الأهواء والمراغب... ينقدون من داخل النّص وليس من خارجه... لذا، ولغيره، أقدمت على النشر، طامعاً بإسهامة – ولو بسيطة – في رقيّنا العقلي، فهمّنا – جميعاً – الوعي العربي.

الناشر

لقد غدت الدّولة في حدود المنظور الحديث والمعاصر، حقيقة راهنة، أنّها (قطب الحياة الاجتماعيّة، فهي ماثلة في كلّ مجال من مجالاتها، وأصبح المواطن يواجه مختلف أجهزتها وإداراتها أكثر بكثير مما كان عليه سلفه القريب أو البعيد، فهو يشتكي أحياناً من تدّخلها ولا يلبث أن يطالبها بالتدّخل لصالحه. ولئن كان مفهوم المواطن مرتبطاً بمفهومي الدّولة والحرّية فقد تضاءل استعمال المفهوم الثاني وتناقض محتواه العاطفي وأصبح هذا يعلق على الحرّيات الجماعيّة أهميّة أكبر مما يعلقه على الحريّات الفردية)[1].

ولقد وقف الفكر العربي تجاه الوافد الغربي، في هذه الفترة، بين الرّفض والنفور من ناحية، والاستيعاب والتمثّل من ناحية أخرى، بين القيد والتحرّر، بين الانغلاق القائم على الحذر والخوف والترقّب والخشية والتمسّك بالقديم والاحتماء بالتقليد، وبين الانفتاح القائم على الثّقة بالنفس والقدرة على التجديد.

والأدب - في حقيقته - حاجة ماسّة، وفاعليّة إنسانية راقية، خلّص الكائنات البشرية من حدودها، ولا يزال. فهو في درجته السّامية أكثر من متعة أو مسرّة، وأكثر من اهتمام ذهني. (وكلّ أدب هادف إلى شيء ما بصورة خفيّة

1- إحسان سركيس - الأدب والدولة - ص 11-12 و 1977 - دار الطليعة - بيروت

أو ظاهرة. لأنّ الاستهداف هو شرط التواصل مع الآخرين وبانعدامه تنعدم الصّلة الكامنة في المعرفة والمسؤوليّة. وبذلك يلعب الأدب في حياتنا دوره بطريقتين: فتارة يخلق أشكالاً من الإحساس والتفكير يفرضها علينا، وتارة يحرّرنا من بعض الأهواء وبعض القوى التي تعمل في لا وعينا)[1].

والوظيفة منفعة، غايتها خدمة الآخر، سواء أكانت في القطاع العام، أم في القطاع الخاص. والوظيفة من كلّ شيء، في اللّغة: ما يقدّر له في كلّ يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف والوُظُف. ووظّف الشيء على نفسه ووّظفه توظيفاً: ألزمها إيّاه[2]... بشكل مبسّط، تدور معاني المادّة حول الإلزام والأجر المحدّد.

وتميل الوظيفة / في القطاعين؛ العام والخاص / إلى الاستقرار والثّبات، والخضوع للقوانين والأنظمة المرعية الإجراء... في حين أنّ الأدب أقدر على التحرّك نحو المستقبل والتحرّر من الضرورات التي تشدّ مراسيه. وأقدر على التحرّر من سجن الواقع، والنّظر إليه من موقف يتجاوزه، ويعلوه...

(والأديب هو الإنسان الذي يقع عليه عبء الوظيفة أو الرّسالة التي يمثّلها، ويقف قبالته الذين لا يملكون الرّغبة أو المكنة لمزاولة هذه الفاعليّة)[3].

وإن ينتج الأديب في ظروف عصره، مستخدماً التقنيّات الفنيّة والأدوات المتوفرة في ذلك العصر، إلاّ أنّه في الوقت نفسه لا يبقى محصوراً على نحو ضيق في هذه الأطر، بل يتخطّاها، أو يحاول تخطيها. في حين أنّ الموظّف يلاقي الحدود والحواجز التي تحدّ من نشاطه وفاعليّته.

وبين مفهوم الأدب ومفهوم الوظيفة، توجد - بالبداهة - قفزة نوعيّة. ولا تعني هذه القفزة - بالضرورة - قطيعة لا عقلانيّة بين حقيقتين. وإنّما عندما يزداد الخلاف بينهما، يكون ذلك دلالة على ازدياد التّناقضات داخل المجتمع. ودور

1- إحسان سركيس -م. س. ن. ص 17.

2- لسان العرب - مادة وظّف.

3- إحسان سركيس - م. س. ن. ص 104.

الأديب - في مثل هذه الحال - دور نقدي إلى حدٍّ كبير، والضرورة / لا سيّما السلطة المحافظة بكل مؤسّساتها الجامدة / تقتضي مصلحتها تسخير كلّ الأنظمة والقوانين لخدمة القضيّة التي تخدمها هي نفسها، فترفع راية ما يسمّى (قانون التقليد والرّفض)، وتجدّ في تبرير ممارساتها التي تدعم سلطانها ونفوذها وسيطرتها.

إذن، الأدب والوظيفة؛ قد يكوّنان ثنائيّة وفاقيّة تشاركيّة نفعيّة تودي بصاحبها إلى مراتب العلى والمناصب السّامية، إن أحسن استخدام أدواته في مخاطبة المتلّقي، خدمة للنّظم. أو ثنائيّة تناقضيّة نفعيّة ترمي بصاحبها في المهالك حيث الأنظمة السياسيّة والاجتماعيّة الجامدة، أو ترقيه درجات السمّو إن تجاوز الحدود والحواجز..

ولعلّ من مشاكل الأديب الموّظف - في الوطن العربي - مشكلة التّوفيق بين موقفين، فثمّة قوتان تتجاذبانه، له في كل منهما مصير.

فما مصير بعض الأدباء العرب الموّظفين الذين سبحوا بعكس تيّار السلطة، أو جدّوا في إعاقة جريانه، خلال النصف الأوّل من القرن العشرين؟

هذا ما سأعرض له في ثنايا البحث الذي نهجت فيه المنهج الوصفي التقريري، أكثر من أي منهج آخر، كالمنهج الاجتماعي السياسي، أو التحليلي، وإن لجأت إلى مثل ذلك. وقد جعلته في بابين وخاتمة.

الباب الأول « الأدب، والأدباء الموظفون »:

عنوان الفصل الأول منه (الأدب). وهو بمثابة مدخل تكلّمت فيه على الأدب؛ ماهيته وأغراضه، وعلى علائقه بالحريّة، والسلطة، والإبداع. وعرضت في الفصل الثاني (أدباء موظفون) لمجموعة - لم أتعمد اختيارها - من الأدباء الموّظفين العرب، وما لاقوه أو انتهوا إليه. فكانوا اثنين وثلاثين.

أما الباب الثاني « عبد الحليم الحجّار الشخصية النموذج من لبنان »، فقد جعلته كذلك في فصلين. مهّدت في الفصل الأوّل - بلمحة سريعة - للظروف الخارجية / التاريخية، والسياسية، والإدارية.../ التي عاشتها الشخصية النموذج في محيطها المناطقي والوطني والقومي... لأتفرغ في الفصل الثاني للكلام على

عبد الحليم الحجّار، شخصيته / مقومات تكوينها/، وحياته / الأدبية، والوظيفية، والاجتماعية والسياسية.../، ومدى انعكاس مواقفه على نتاجه وعلى حياته الخاصة.

وقد انتهيت إلى خاتمة للبحث، من الطبيعي أن استودعها جملة استنتاجات، غير راض لها أن تكون مجرّد خلاصة لما تقدم، إذ جعلت لكل فصل - في مقدمته أو خاتمته - محصّلة عامة.

أمّا لماذا اخترت الشخصية النموذج من لبنان؟ فاختياري كان مبنياً على رؤية، أبسطها على الشكل التالي:

إن مدارس الديمقراطية عريقة في لبنان في التاريخ القديم وفي التاريخ الوسيط. وكانت بيروت مدرسة الحقوق محجّة روما. إنّما إذا كانت الديمقراطية - من حيث المفهوم - هي حكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه، أو ما يعادله، فهي - من حيث الممارسة - لم تَطبَّق عملياً على الأراضي اللبنانية، لا في التاريخ القديم، ولا في تاريخه الوسيط، ولا في تاريخه الحديث والمعاصر. (نصوص دستورية تكرّس، على الورق، مبدأ الفصل بين السلطات... أمّا في الواقع فلا من يحاسب ولا من يحاسبون... ومن العوامل التي تحول دون جدّية المساءلة والمحاسبة، الاعتبارات الطائفية والمذهبية والعشائرية والسياسية...)[1].

كما تحكّمت في نظام حكمه، وتنصيب حكّامه - وما زالت - قوى داخلية تسيّرها قوى خارجية بشكل مباشر أو غير مباشر. ولا نغالي إذا قلنا: أنّ القوى الخارجية - في أحيان كثيرة - قد استأثرت بالسلطات كلّها، وتفرّدت باتخاذ القرار، مستفيدة من التعددية/ الثقافية والفكرية والدينية والاجتماعية والعقائدية.../ التي ميّزت لبنان من دول المحيط.

1- سليم الحصّ - صوت بلا صدى - ط 1، ص 17 و 18 - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت 2005.

والتعدديـة السياسـية في تـاريخ لبنـان، وفي خضـم الصـراعات الوطنيـة والإقليمية والدولية، هي - حيناً - نعمة قادرة باتحاد اللبنانيين على المواجهة. وأحيانـاً نقمـة قاصـرة عـن تلبيـة أمـاني الشـعب اللبنـاني وطموحاتـه في ظـل تضـارب مصـالح الطبقـة الحاكمـة. وفي كلتـا الحـالتين، لـم يحسـن الحـاكم والمحكوم، توظيف التعدّدية لصالح الوطن بكيانه العام والشامل. والرهان على القوى الخارجية جرّ - دائماً - إلى مواجهات لم يكن من جرّائها سوى تدمير الوطن وشعبه.

وسـجل الـدول العظمـى حافـل - قـديماً وحـديثاً - بالتـدخل السياسـي والعسكري في شتّـى أرجـاء الـدنيا[1]. لكـن لا يعـني هـذا بالضـرورة، أنّ الدولـة العظمى التي تتصرف بقوة عسكرية هائلة، قادرة على إملاء إرادتها عسفاً على دولة صغرى ضعيفة ما لم يدعمها قرار الشرعية، وإرادة الشعب الموحّدة في تلك الدولة.

وإن تكـن الديمقراطيـة في لبنـان - إلى حدٍّ بعيـد - شكلاً مـن دون مضـمون، فهو رغم العوائق؛ الطائفية والمذهبية والسياسية، أو بفضلها، يكاد يكون القدوة المرتجاة في العالم العربي، نظراً لوفرة الحرّيات النسبيّة فيه. وقدره أن يسلك طريق الآلام ليكون تلك القدوة التي يبدو أنّ العالم العربي بحاجة ماسة إليها.

المؤلف

1- من ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما حلّ في كوريا، وفيتنام، وأفغانستان والعراق... على يد الولايات المتحدة الأميركية.

الباب الأول

الأدب والأدباء الموّظفون

الفصل الأول

الأدب

1- الأدب؛ ماهيّته وأغراضه.
2- الأدب والحريّة.
3- الكتابة والسلطة.
4- الإبداع الأدبي.

1- ماهيّته:

الأدب لغة[1] هو حسن التناول والظرف، وأصله الدّعاء، ملكة تعصم من قامت به عمّا يشينه. هو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً. بتعبير آخر، الأدب في اللّغة هو حسن الأخلاق وفعل المكارم، هو الذي يتأدب به الأديب من الناس. سمّي أدباً لأنه يَأْدِبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح. ومن معانيه أدب النفس، وأدب الحديث، وأدب الدرس، وأدب الطريق...

فالأدب - إذن - يشكّل ضرباً من الممارسة الهادفة. وما تعبير الرسول محمد (صلعم) في حديثه الشريف: « أدّبني ربّي فأحسن تأديبي » إلاّ تدليل على ذلك. وقوله: « إنّما بُعِثتُ لأتمم مكارم الأخلاق » تبيان للدلالة الاجتماعية - الأخلاقية للأدب وعلاقته العضوية بالحياة. وقد جاءت تفسيرات علماء اللغة العربية لكلمة (أدب) لتؤكد هذا المعنى. قال المقّري: « أدّبه أدباً: علمه رياضة النفس ومحاسن الأخلاق ». وقال أبو زيد الأنصاري: « الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل ».

1- مأخوذة من مجلة العرب 206 وما

1- أنظر في معاني الأدب اللغوية: إبن منظور - لسان ا
بعدها - دار صادر - بيروت (بدون تاريخ).

لكن مع تطوّر الحياة واتساع مناحيها الفكرية، اتسع مفهوم لفظة (أدب) واكتسب دلالات لغوّية تشير إلى ازدواجية المعنى. فبالإضافة إلى معنى الفعل الأخلاقي حمل معنى العلم الذي يتناول استعمالات اللّغة. فباتخاذ المؤدّبين - في العصر الأموي - اتّسع مفهوم الكلمة، وبات يحمل في مضمونه معنى تثقيفياً إلى جانب المعنى الأخلاقي. إذ درج المؤدّبون على تعليم تلاميذهم القراءة والكتابة، وسير السلف وأقاصيصهم، والإنساب والأخبار... إلى جانب تعهّدهم بالتربية الصالحة، والأخلاق الحميدة، والسلوك القويم. ومن هنا استعمل الزّجّاج (أدَّب) بمعنى علّم. وأكّد الجواليقي ذلك في معرض حديثه عن إضفاء الدلالة العلمية - اللغوية لفعل الأدب الأخلاقي بقوله: «الأدب في اللغة: حسن الأخلاق وفعل المكارم/ وإطلاقه على العلوم العربية مولّد حدث في الإسلام».

ومع ازدياد العلوم والمعارف - في العصر العبّاسي - شمل مفهوم الأدب كلّ ما من شأنه التهذيب والتثقيف، حتى اكتسبت اللفظة معنى المعرفة الشاملة، فأدخلوا في نطاقها: الطب والصيدلة، والكيمياء، والرياضيات، والسحر، والكيانة، والفقه، والشريعة، والمنطق، والفلسفة والموسيقى والفن.... وبذلك تحوّل معنى (أدب) من منظومة متعدّدة الأنواع لاستخدام اللغة في الشعر والنثر والنحو والبلاغة... ليصبح عند العرب بمثابة فنّ استخدام اللّغة للتعبير عن المضمون العلمي - الاجتماعي بالإضافة إلى البعد الفني البلاغي للغة. الأمر الذي يضيف فن استخدام اللغة أي البعد الوظيفي لعلاقة الأدب بالوجود، إذا ما اعتبرنا أنّ (أدب أيّ أمة هو المأثور من بليغ شعرها ونثرها).

وقد جاء ابن خلدون ليقول في مقدمته: «الأدب علم لا موضوع له... المقصود منه عند أهل اللّسان ثمرته وهي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم... مع ذكر بعض من أيام العرب... وكذلك ذكر المهمّ من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة... ثمّ أنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف...»[1].

1- المقدّمة - ص 557 - ط 4 - دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان - (بدون تاريخ).

وإن يكن ابن خلدون في مقدمته قد أدرج الأدب في باب العلوم، وقال: «علم الأدب»، إلاّ أنه لم يجرده من طبيعته الفنية - كما بدا لنا ممّا تقدم - عندما أراد أن يحدّد. ولسنا هنا بوارد مناقشة هذه المسألة، إنّما ما يهمّنا هو مفهوم الأدب من خلال تعريف ابن خلدون به. فالذي نفهمه منه أنّ الأدب هو ما أثر عن العرب من فنّي المنظوم والمنثور، وقد ارتكز على قواعد وأصول - أي على علوم - راعاها العربي الأصيل منذ جاهليته، وهي علوم اللّغة والتاريخ.

وبهذا المفهوم، لم يعد الأدب دائرة معارف شاملة. فقد خرج علم الشريعة والفقه من حدّه/ وإن يكن اعتماده على علوم اللّغة كالأدب. وكذلك خرجت علوم كونيّة كثيرة، إذ أنّها علوم دخيلة لا مدخل لها في كلام العرب إلاّ ما ذهب إليه المتأخّرون.

وما نراه: الأدب متعة ومنفعة على السوّاء. هكذا رآه أرسطو وكثيرون غيره من بعده. هو نقد للحياة وظائفه شاملة / ذاتية واجتماعية وسياسية ودينية.../ يشمل حياة الأديب وتجربته، وحياة الآخرين وتجاربهم، (بل يتناول ما بعد الحياة من تطلّع إلى الكون والمصير وقوانين الطبيعة ونواميسها)[1]. ومن هذا المنطلق، الأدب ضرورة حتميّة في الحياة الإنشائية، وظيفته خدمة المجتمع الإنساني. ومن هنا يطرح السؤال التالي نفسه: ما هي أغراض الأدب ووظائفه؟.

2-أغراض الأدب

لقد اختلف - قديماً وحديثاً - في وظيفة الأدب وغرضه. أهو تعبير أم توصيل؟ أهو وسيلة أم غاية؟ أميدانه الأنا أم النّحن؟ إلى آخر ما هنالك من أسئلة.

فالفّن عند (تولستوي Tolstoi) بما في ذلك الأدب، هو التعبير عن حاجة الشعب. وهو عند محمد غنيمي هلال (التعبير الحر عن وعي الأمة في آمالها الكبيرة ومثلها من وراء التصوير الصادق لواقعها فيما يشف من إمكانات أو

1- د. مريم حمزة - الأدب بين الشرق والغرب - ص 36 - دار المواسم - بيروت 2004.

يوحي بها...)[1]. والفن عند توفيق الحكيم - وطبعاً الأدب أحد أبوابه - هو أداة من أدوات خلق الذاتيّة[2]. غير أنّ (آبركرومبي Abercrombie) ينكر ذلك، ويعتبر الأدب صلة، فليس جديراً عنده أن يدعى أدباً كل أدب يعبّر عن نفس منتجه ولا يؤدّي للمتذوق شيئاً. كما أن الأدب ليس وسيلة أو أداة لتأدية شيء للقارئ. بل لا بدّ للأدب من أن يكون صلة، وحيث لا تكون صلة لا يكون أدب. (والغرض الذي يرمي إليه فنّ الأدب، هو التعبير والتصوير والتوصيل وليس الغرض من تأليف الأدب وإنشائه أن يكون جميلاً، وإنّما نقضي له بالجمال إذا نجح في غرضه الذي يرمي إليه)[3].

ومع شيوع الثورات، واكتناز العصر الحديث بانقلابات سياسيّة، واقتصادية، واجتماعية، ونتيجة للتغيّرات الجذرية في المجتمعات الحديثة، برز إلى الوجود (الأدب الثّوري) أو (أدب الثّورة). فمنهم من نسبه إلى كلّ ما كتب للطبقة العاملة، ومنهم من نسبه إلى الثّورة بحدّ ذاتها. غير أنّ (ماركوز Marcuse) قد رفض هذين المفهومين للأدب الثوري، وعرّفه بقوله: «المعنى المقبول الذي يمكن به إطلاق نعت الثوري على الأدب، هو المعنى الذي يحيل الأدب إلى ذاته، من حيث هو مضمون صار شكلاً». وأردف قائلاً: «أنّ الفن من حيث هو فن يعبّر عن حقيقة عن تجربة، عن حاجة آسرة، وكلّها عوامل أساسية في الثورة، وإن لم يكن مضمارها الممارسة الجذرية»[4].

الواقع، أنّ الخلاف حول اللغة والأدب، وكونهما أداة توصيل أو أداة تعبير، ليس خلافاً لغويّاً أدبياً، بمقدار ما هو خلاف فلسفي اجتماعي طبقي. لذلك ففهم وظيفة الأدب حسب هذه النظرية أو تلك، إنّما هو موقف اجتماعي طبقي صميم،

1- محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث - ص 10 - دار الثقافة، دار العودة - بيروت 1973.

2- راجع: توفيق الحكيم - فنّ الأدب - ط 2 - ص 182 - دار الكتاب اللبناني - بيروت 1973.

3- لاسل آبركرومبي - قواعد النقد العربي - ص 46 - ترجمة عوض محمد عوض - لجنة التأليف والترجمة والنشر - 1954.

4- هربرت ماركوز - البعد الجمالي - ص 11 و12 - ترجمة جورج طرابيشي - دار الطليعة - بيروت 1979.

ينطلق من موقف ذي نظريتين: النظرية المادية، والنظرية المثالية. فالنظرية الأولى وأفكارها هي فكر الطبقة العاملة وقوى الاشتراكية. والنظرية الثانية هي فكر الطبقات الإقطاعية والرأسمالية، والانحياز إلى إحدى هاتين النظريتين هو انحياز إلى موقع اجتماعي محدّد.

فالجمالية الماركسية - على سبيل المثال - ترى أنّ كل فنّ مشروط بصورة ما بعلاقات الإنتاج وبالوضع الطبقي. وأنّ تغيّر علاقات الإنتاج يغيّر الفنّ وأنّ الفن الأصيل الحقيقي والتقدمي هو فن الطبقة الصاعدة الذي يعبّر عن وعيها. ومهمة الجمالية الماركسية الأولى أن تحلّل هذه الصورة، وعلى الأديب - إذن - أن يبيّن ويعبّر عن مصالح الطبقة الصاعدة. وكل فن غير هذا هو فن منحط.

ويرى ماركوز أنه « لا يكفي العمل الفني، كيما يكون أصيلاً، أن يمثّل حقاً مصالح البروليتاريا أو البرجوازية أو رؤيتهما للعالم... فكونية الفن أو شموليته لا يمكن أن تُبنى على عالم طبقة خاصة وعلى تصوّرها للكون، لأنّ الفن يوجّه منظوره نحو كوني عيني، نحو الإنسانية غير المحتواة في أيّة طبقة خاصة... فالترح والفرح، واليأس والعيد... بما بينهما من تشابك وتلاحم، غير قابلة للتّذويب في مشكلات صراع الطبقات. والتاريخ يغرس جذوره أيضاً في الطبيعة. ومن غير المسوّغ للنظرية الماركسية... أن تتجاهل الأيض Métabolisme - بين الكائن البشري والطبيعة وأن تندّد بالاعتراف بهذا الأسّ الطبيعي للمجتمع على أنه تصوّر أيديولوجي نكوصي »[1].

خلاصة القول: إن تكن وظيفة الأدب تحقيق هذا الغرض أو ذاك، فإن الوجود ومظاهره، في واقعه أو ما يجب أن يكون عليه، هو مجال الأدب في بعض مناحيه، وإن لم يكن الأدب ملزماً بالتعليل والتحليل والخلوص إلى نتائج عبر العقل والمنطق العام. والإفراط في طلب الحق العلمي المنطقي يطفئ حماسة طلب الحق الفني. فالمنطق والأدب كلٌ منهما سيد في عالمه.

1- هربرت ماركوز - م. س. ن. ص 28 و 29.

ومن بداهة القول: ليست وظيفة الأدب أن يتناول الحق مباشرة. إنّما وظيفته أن يتناوله من الجانب الحسي وينفحه بالجمال، ويمزجه بحياة الإنسان وعواطفه وأهوائه ومراغبه. والأديب الكبير هو الذي يعبّر عن أعمق الحقائق، ويلمس خفايا القلوب، ويطوف بنا في مشارق النفس ومغاربها، ليرشدنا إلى آفاق فكرية قيّمة... وليس انفعال الفنان وإحساسه العميق بالأشياء بمنعزلين عن الإدراك، إنّما إحساسه يستند إلى قدرة على المقارنة والربط والاستقراء والتجريد والتعميم... وهي جميعاً ملكات عقلية.

الأدب والحريّة توأمان متلازمان، والعلاقة بينهما أزلية، تكاد تمتد امتداد العلاقة بين الأدب وتاريخ البشرية، ذلك أنها إحدى ضرورات الحيوية والترقّي. ولقد كان الأدب - وما زال - (في جوهره تجسيداً لهذه الحاجة الأخيرة من خلال سعيه الدائب لخلق عالم موازٍ لعالم الواقع، قد يستمدّ عناصره الأولى منه، ولكنه يعيد تشكيلها من جديد بقدرٍ من الحرية يتحقّق من خلاله قدر أكبر من انسجام العناصر)[1].

والحرية ضرورة للفرد والجماعة معاً. فالأدب نتاج فرد متميّز، اكتسب شرعيته من قدرته على غمس قلمه في مداد الجماعة المتعطشة إلى مورد عاجل، دون أن ينكسر القلم تحت ضغط الحاجة. وأديب الحرية على هذا النحو تتفاوت درجة اقترابه من الجماعة بمقدرته على توسيع مدى أطروحته.

والجدير بالذكر، أنّ (الحرية - مفهوماً مطلقاً - لا وجود لها إلاّ في الذهن، أمّا في الواقع فلا توجد إلاّ حريات نسبية. لأن نقيضها / الضرورة / مصاحب لها دائماً، من أحطّ حالات الجسم إلى أسمى سبحات الروح... ولكن مشكلة الحرية تتمثل لنا في أشدّ صورها مأساوية حين نشير إلى علاقة سلبية بين الكاتب والسلطة. ومراكز السلطة في المجتمع كثيرة، تهيمن عليها السلطة الكبرى؛ سلطة الدولة... بل أنّ مبدأ الضرورة / المناقض لمبدأ الحرية / لا يتمثّل في شيء كما يتمثّل في أعمال الدولة... ولا تزال الدولة تضع مختلف القيود على الحريات.

1- أحمد درويش - ملامح التجسيد الفني لظاهرة الحرية في شعر محمود درويش، مجلة فصول عدد 1 - ج 1، ص 74 - ربيع 1992.

بحيث تبقى ممارسة الحرية خاضعة أبداً لما تقرّره الضرورة. لا تشغل أكثر من الحيِّز الذي تسمح به مولاتها الضرورة)[1].

أما الأديب المفكر الفنان... فمكانه بإزاء السلطة / الدولة / كمكان الحرية بإزاء الضرورة. فهو لا يقبل من قيود الضرورة - وإن في صراع أليم مع ذاته - إلاّ كلّ أصيل في بنية الفكر أو بنية الفن، وما يفرضه على نفسه من وسائط التعبير والتوصيل. وقد يشعر بشيء من الراحة إذا استشعر، ولو لحظة، بمعنى الحرية. ويوحي إلى المتلّقي، ولو لمحاً، بسر هذا المعنى وسحره.

والسلطة / الدولة / ، لا سيّما في الأنظمة العربية، كانت - وما زالت - تنظر إلى الكاتب غير الموظف بعين الريبة. أما الكاتب الموظف، فقيده بيدها.

فما مدى العلاقة بين الكتابة والسلطة؟

1- شكري عيّاد - الأدب والحرية - مجلة فصول - عدد 1 - ج 1، ص 12 - ربيع 1992.

كل سلطة تريد للكتابة أن تكون مهنية رسمية، لا تتغيّر من زمان إلى زمان، ولا تتبدل من مكان إلى مكان، ممسوحة الشخصية الفردية فيها... تزيد الهمّ، وتثقل على القلب، غرضها الإحكام والسيطرة والمنع والقهر والأمر والزجر... لغتها القانون والمواد والبنود، ونظم الشركات والمؤسسات، و (الأعراف الاجتماعية والآداب الشكلية التي تحدّ من الفعل من أجل تنظيمه، وتحكم القيد من أجل السيطرة على الفعل)[1].

و (الكتابة من حيث علاقتها بالسلطة نوعان: كتابة بالقلم، وكتابة بالدم، كتابة بالأسود وكتابة بالأحمر، كتابة على الورق وكتابة في التاريخ. الكتابة الأولى تعطي لصاحبها الوظيفة والمنصب والجاه والمال والسلطان. والكتابة الثانية تؤدي بصاحبها إلى السجن والتعذيب والاستشهاد)[2].

فالكتابة الوظيفة كتابة باليد دون اعتقاد واقتناع. هي كتابة الدعاة وأجهزة الإعلام والإعلان، والتكسّب وقصائد المديح لأولي الأمر... تبغي تبرير النّظم. هي كلمة في الهواء منتشرة في الأسواق في كل عصر. هي شهادة زور وبهتان...

أمّا الكتابة الرسالة، فهي تعبير اعتقاد. هي كتابة المصلحين والثوار والمتحررين... تبغي - مهما تغيّرت العصور، وتبدّلت الأحوال - نموذجاً على شهادة العصر. هي فعل في التاريخ، نادرة صعبة المنال. هي شهادة صدق على العصر، واستشهاد فيه...

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، واجه الكاتب العربي - وما يزال - جملة من القضايا المحورية، منها قضايا: الحرية، الديمقراطية، حقوق الإنسان،

1- حسن حنفي - الكتابة بالقلم والكتابة بالدم - مجلة فصول - عدد 1 - ج 1، ص 60 - ربيع 1992.

2- م. س. ن. ص 61.

الوحدة والتنمية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً... ثم كانت فلسطين، ولا تزال، هي القضية المركزية.

وشغلت الإنسان العربي عن قضاياه - في مراحل مختلفة - مشكلات الفقر والجهل والتفاوت الفادح في الدخل والنمو داخل القطر العربي الواحد... وكلها من تجليّات التخلّف الحضاري الذي تراكم عبر قرون من الاحتلال والاستعمار الذي تمخّض عن نكبة فلسطين التي بذرت في المجتمعات العربية أسباب الثورة والاضطراب والرفض، فخلفت الانقلابات العسكرية المتعاقبة في كثير من أقطار الوطن العربي، وقد ترافقت مع اكتشافات هائلة في مصادر الطاقة...

هذا الواقع المعقّد الذي تمخّض عن انقلابات عسكرية في غير قطر عربي، تعرّضت أنظمته إلى الاهتزاز، فعمدت إلى أساليب القمع والتضييق على الحريات، وتبديد الموارد والإمكانات على تطوير وسائل الدفاع عن الذات، في الوقت الذي كانت فيه الأمة العربية هدفاً متجدداً للاستعمار ولو بوجه جديد.

وفي بلاد العرب (حيث الملك أو الأمير أو الرئيس هو الحاكم المطلق لا وجود فعلياً لآليات المحاسبة في النظام، فلا وازع تالياً ولا رادع سوى الضمير. والمواطن العربي لم يألف مشهد حاكم يعترف أمام شعبه بوخز الضمير حيال خطأ ارتكبه أو خطيئة...)[1].

كان القمع - وما يزال - في بنية المجتمع العربي قاسماً مشتركاً بين تيّارات الفكر الاجتماعي والسياسي على وجه العموم. ودخل ممثّلو التيارات السياسية، كافةً، السجون والمعتقلات، وقضت على كثير منهم المعتقدات، أو شرّدتهم في المتاهات حيارى غرباء يستجدون العون استجداء العملاء! وكانت نون الجماعة - وما زالت إلى حدٍ كبير - تعود إلى السلطة المتفردة بالحكم. فباسم العدل، وبدعوى الاستقرار، وحماية المجتمع من الأشرار، يستمر وقع السياط من قِبل السلطة للرعية.

والقمع الذي حصل في عالمنا العربي، ويحصل، يتّم من خلال تقييم كل ثقافة في مجتمعاتنا بمدى قربها أو بعدها عن هذه الثقافة السائدة التي نجحت الطبقة الحاكمة في حبكها، وجعلها متفقاً عليها من قبل الجميع!

فكيف يُبدع الأديب؟

1- سليم الحصّ - صوت بلا صدى - ط 1، ص 18 - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت 2005.

الإبداع ضرورة اجتماعية، لا غنى لأيّ مجتمع عنها، وخاصة في القرن حادي والعشرين، عصر التكنولوجيا والعالم القرية. ولا يكتمل الإبداع الأدبي إلاّ تكون له رسالة اجتماعية. (فتاريخ الإبداع في الآداب والفنون لا يقل في قيقة الأمر واقعية ولا يقل فاعلية في تشكيل حاضر الشعوب ومستقبلها. ولا ل اقتضاء للبدء من موقع المخالفة)[1].

والإبداع فعل كذلك، ينتقل من الإمكانية إلى الوجود. (وإذا كان الإبداع فعلاً حرّر يعبّر عن نفسه من خلال الصراع التركيبي بين المبدع وذاته، ومجتمعه، اته، فهذا هو جوهر الحرية)[2]. و (الحرية ليست ظاهرة، أو واقعة، أو حالة، هي فعل)[3]. ولا يمكن للحرية أن تدرك إلاّ في صميم الفعل الذي تمارس به وجودها. (والإبداع هو فعل التحرّر ذاته، الذي يتجسّد في علاقة بين الإنسان وسائط التي يفعل من خلالها)[4]. من هنا تبدو الحرية الشرط الأوّلي للإبداع.

فالإنسان الغربي الذي ظفر بالتحرّر من سلطان الدولة وسلطة الكنيسة، د قرون، لم يتم له هذا الظفر إلاّ حين استشعر أنّ النظم السياسية والاقتصادية دينية... تحدّ من أفعاله، فقام يسعى إلى التحرّر من سلطتي الدولة والكنيسة

الهيئة

1- مصطفى سويف - الشروط الاجتماعية للإبداع - مجلة فصول - عدد 1 - ج 1، ص 12 المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ربيع 1992.

2- رمضان بسطاويسي محمد - الإبداع والحرية « الرمز والسلحلة » - م. س. ن. ص 23.

3- زكريا إبراهيم - مشكلة الحرية - ص 30 - مكتبة مصر - القاهرة 1971.

4- رمضان بسطاويسي محمد - م. س. ن. ص. ن.

اللتين تدخلتا في كل مظهر من مظاهر الحياة وأشكالها المختلفة، وامتدّ نفوذهما إلى العلم والفن.

ذلك لا يعني أنّ الحرية الإنسانية هي حرية مطلقة، فللحرية حدود هي بعينها شروطها. وهذه الحدود تمثّل درجات مختلفة من الضرورة. (وهامش الحرية المتاح للكاتب في أي مجتمع من المجتمعات، على اختلاف فيما بينها، محدود جداً، لا يتجاوز هامش الرقص في السلاسل. إذ ثمة قيود لا يستهان بها من اللغة والفن والتراث، والمتلقي، والمجتمع، وغيرها. ما يكفي ليبدد هذه الحرية، ويذروها أدراج الرياح)[1]. والأديب - أولاً وقبل كل شيء - كائن اجتماعي ينشئ للآخر بلغته، وله وظيفته الاجتماعية المحدّدة التي يؤديها من خلال المؤسسات الاجتماعية ذات الصلة، وذو وضع اجتماعي معيّن، يتلقى درجة ما من الاعتراف والجزاء الاجتماعيين.

ويبدو أن كلّ ما تقدم من قيود وضوابط تحدّ من حرية الكاتب (اللغة، والفن، والتراث، والمتلقي، والمجتمع...) لم تكف، فكانت الرقابة الفكرية والدينية والسياسية... إلى آخر ما هنالك من شبكات القيود والأنظمة والبنى التي تتحكّم بعملية الإنتاج الأدبي، وبالتالي تحدّ من حرية الأديب. والمبدع وحده هو الذي يستطيع أن يتحرّر، ويكسر، ويخترق.

وبداية الإبداع التمرد على المجتمع، ونبش متاهات اللاّوعي، فهو لا يتحقّق إلاّ إذا أقيم على عصيان السائد. فالحرية ونقيضها القهر محركان للإبداع. فإن كانت الأولى تؤمّن للأديب المبدع مساحات واسعة من الخيارات المتعدّدة والمجالات المتنوعة، فأنّ الثاني يثريه تفنّناً في التحايل على عين الرقيب وسيف السلطة.

1- عبد النبي اصطيف - هامش الحرية في الممارسة الأدبية - م. س. ن. ص 49.

الفصل الثاني

أدباء موظفون

تمهيد

منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومطالع القرن العشرين، لا سيّما سنوات الحرب العالمية الأولى (مقدماتها ونتائجها) عملت في العالم العربي رياح غربية هوجاء عاتية، وما فيه دولة أو شبه دولة... وطنية أو قومية، أو حتى قبلية! إنّما تجمعات شخصانية لها مصالحها الخاصة وتطلعاتها التي تستجديها من أصحاب القرار. وأصحاب القرار (ورثة تركيا) كُثر، ومصالحهم - في أحيان كثيرة - كانت اقتصادية، ربّما استدعت ميلاد عصبة الأمم، القناع الإنساني الأممي لاستعباد الشعوب المغلوب على أمرها.

وكان بلاء العالم العربي في جملة من القضايا: في تبعيته للإمبراطورية العثمانية، وفي موقعه الجغرافي الاستراتيجي، وفي موارده الطبيعية - لا سيّما النفط - وفي ثرائه وفقره في آن، وفي ضعفه وتشتته... فالأمة التي سادت قد بادت معالمها، وباتت محطّ أنظار الطامعين، فكانت نكبة فلسطين وما سبقها وتبعها من مآس وويلات، وكانت حركات التحرر العربية... فبأقنعة متلونة، برزت مخالب الغرب وأنيابه التي ما فتئ يصعقها منذ سنين وعقود في بعثاته التبشيرية والتعليمية، تنهش لحوماً ميتة، وتنقب في أراض بكر، وقد حملت معها رياحاً من الأخوّة والعدالة والمساواة... والتحرر. فاصطنعت الأنظمة، وتشكّلت الدول التي ما كان لعربي فيها رأي ولا يد!

حيال هذا الواقع المضطرب المعاش، وقف الفكر العربي تجاه الوافد الغربي وقفة تناقضية يتجاذبه قطبان متنافران؛ الرفض والنفور من ناحية، والاستيعاب والتمثّل من ناحية أخرى. وركب الأديب الموظف - على وجه العموم - موجة الثنائية التناقضية، وخاض غمار مشكلات مركّبة معقّدة؛ خاصة قطرية، وعامة شاملة يعيشها العرب في مختلف أقطارهم. ومن المنطق أن تكون الثنائية إمّا وفاقية تشاركية نفعية، وإمّا تناقضية قطبية نفعية كذلك. من هنا نشأت عند الأديب الموظف - في الوطن العربي - مشكلة التوفيق بين قوتين تتجاذبانه. فهل نجح الأديب الموظف العربي في التوفيق أم فشل؟ وكيف عاش تجربته؟... في استعراض حياة عيّنة عشوائية من كوكبة أدباء موظفين قد نستهدي إلى الجواب.

وليّ الدين يكن (1873- 1921)

ولد وليّ الدين يكن - التركي الأصل - في الآستانة، وجاء به والده إلى القاهرة وهو دون سن السادسة. التحق بوظائف النيابة، وأصدر جريدة (الاستقامة)، وجعلها منبراً لمحاربة الظلم. أوقفت السلطات جريدته، وسجنته، ونفته إلى سيواس. عاد من المنفى عام 1908 عندما أُعلن الدستور العثماني، والتحق بخدمة خديوي مصر(1).

له كتاب في النثر بعنوان «المعلوم والمجهول»، وديوان شعري صغير، تنوّعت أغراضه ما بين السياسة والاجتماع والمدح والرثاء والشكوى... منه قصيدة يعارض فيها أحمد شوقي التي قالها في وداع السلطان عبد الحميد عندما خُلع (سنة 1909)، جاء فيها قوله:

سلْ يلدزاً ذات القصورْ ... هل جاءها نبأ النذورْ
هاجتك خاليةُ القصور ... وشجتك آفلة البدور
وذكرتَ سكّان الحمى ... ونسيت سكان القبور
ويكيت بالدمع الغزيـ ... ـر لباعث الدمع الغزير

عبد الحليم حلمي المصري (1887- 1922)

التحق عبد الحليم حلمي المصري بالمدرسة العسكرية، وتوظّف بالسودان، وفي ديوان الأوقاف، واستقال. فقد أدّت إحدى قصائده إلى محاكمته وسجنه. ثمّ دخل بعد الانقلاب الدستوري في خدمة الملك (أحمد فؤاد) حيث كانت له عنده حظوة حتى دُعي شاعره(2).

له: «ديوان المصري» في ثلاثة أجزاء صغيرة، و«الرحلة السلطانية» في جزأين.

1- يراجع: أحمد قبش - تاريخ الشعر العربي الحديث - ص 100 - ؟ - 1971، ود. سالم المعوش - شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر - ص 688 - دار النهضة العربية - بيروت 2003.

2- يراجع: خير الدين الزّركلي - الأعلام - ط 14 - 283/3 - دار العلم للملايين - بيروت 1999، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 717.

مصطفى لطفي المنفلوطي (1872- 1924)

عادت كتابات مصطفى لطفي المنفلوطي في جريدة (المؤيِّد)، ابتداء من عام 1907، إليه بشهرة واسعة، دفعت بسعد زغلول وزير المعارف الذي أراد أن تكون لمنشورات وزارته وتقاريرها لغة راقية، إلى تعيين المنفلوطي محرّراً عربياً لها. ومن بعدُ نقله معه وولاّه في المنصب نفسه عندما تولّى حقيبة وزارة العدل. كما عُيِّن في سكرتارية البرلمان المصري عند إنشائه. اتصل بالشيخ (محمد عبده) اتصالاً وثيقاً وسجن بسببه ستة أشهر، لقصيدة قالها تعريضاً بالخديوي (عباس حلمي) الذي كان على خلاف مع (محمد عبده)[1].

إلاّ أن المنفلوطي الذي أراد أن يعيش حراً طليقاً، يناضل من يشاء، ويجادل من يشاء، وينتقد من يشاء، وأن يقول كلمتي الخير والشر للأخيار والأشرار في وجوههم، لا متملّقاً أولئك وخاشياً هؤلاء...[2]. كان له (دنلوب) مستشار وزارة المعارف الإنكليزي بالمرصاد.

فعلى أثر خطبة (روزفلت)[3] التي ألقاها في الخرطوم، والتي حذر فيها انكلترا من ترك مصر، لأنّها إن فعلت فإن دولة أخرى ستخلفها، انبرى له المنفلوطي، وردّ عليه بمقالات متوالية، فثارت ثائرة (دنلوب)، وأراد النكاية به. فقام سعد باشا زغلول في وجهه، قائلاً: أنّ الحكومة في حاجة إلى مثل السيد منفلوطي، وليس هو في حاجة إليها، والوظائف قبور للأدباء، وخير للحكومة أن يكون مثله داخلها[4].

1- يراجع: مؤلفّات المنفلوطي الكاملة، الموضوعة - ص 5 وما بعدها - دار الجيل - بيروت 1980، والأعلام - 239/7.

2- بتصرّف عن كتابه الشاعر.

3- (ثيودور روزفلت) رئيس الولايات المتحدة الأميركية / 1901 - 1908)، زار مصر عائداً من السودان 1910، وقد ألقى فيهما الخطب التي مَجّد الاحتلال، وتعارض حركات التحرر المطالبة بالدستور... يراجع: د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ط 3 - 118/1 و 121 - دار النهضة العربية - بيروت 1972.

4- محمد عبد المنعم خفاجي - دراسات في الأدب العربي الحديث - ج 2، ص 352 - مكتبة الأزهر القاهرة؟.

له: كتاب «النظرات» جمع فيه ما نشره في (المؤيد)، وكتاب «العبرات» وهو مجموع من الأقاصيص الموضوعة والمنقولة، و«مختارات المنفلوطي» من أشعار المتقدّمين ومقالاتهم. وعرّب له بعض أصدقائه عن الفرنسية: «تحت ظلال الزيزفون» و«الفضيلة» و«الشاعر»، فصاغها بأسلوبه صياغة حرّة لم يتقيّد فيها بالأصل. ومن نظراته، مفتشاً عن الفضيلة، قوله:

فتشت عن الفضيلة في حوانيت التجّار فرأيت التاجر لصاً في أثواب البائع...

فتشت عن الفضيلة في مجالس القضاء فرأيت أنّ أعدل القضاة من يحرص الحرص كلّه على أن لا يهفو... هفوة يحاسبه عليها من منحه هذا الكرسي...

فتشت عن الفضيلة في قصور الأغنياء فرأيت الغنى إمّا شحيحاً أو متلافاً...

فتشت عنها في مجالس السياسة، فرأيت أنّ المعاهدة والإتفاق والقاعدة والشرط: ألفاظ مترادفة معناها الكذب...

ومن نظراته في الحرية قوله:

أنّ الإنسان الذي يمد يديه لطلب الحرية ليس بمتسوّل ولا مستجدٍ، وإنّما هو يطلب حقاً من حقوقه التي سلبته إياها المطامع البشرية، فإن ظفر بها فلا منّة لمخلوق عليه، ولا يد لأحد عنده.

أحمد شوقي (1868- 1932)

أحمد شوقي شاعر الأمراء، وأمير الشعراء الذي نشأ نشأة أرستقراطيّة. وعاش عيشة رغيدة في القصر الخديوي، يثني عليه (توفيق) وينثر الذهب بين يديه. ويلازم الخديوي (عبّاس) وينال حظوة عالية لديه، بعيداً عن أرق الناس وهمومهم... حطّ به الدهر يوم عزل الإنكليز (إسماعيل)[1].

وبعزل الخديوي (إسماعيل)، كان أوّل خروج لشوقي من القصر منفيّاً إلى أسبانيا. وفي برشلونة تنفّس شذا الحرية، ليعود إلى مصر - إثر الثورة المصرية

1- عند بدء الحرب العالمية الأولى عزله الإنكليز وعيّنوا مكانه السلطان كامل حسين.

سنة 1919 - متحرّراً متفلّتاً من قيود البلاط، غير مرتهن لنظامه، وطرق عيشه، طليق اللّسان يهتم بقضايا الناس[1].

ويلهب وجوه المستعمرين الإنكليز بصيحاته المدوّية، منها واحدة في وجه اللورد (كرومر)، جاء فيها:

كم منّة موهومة أتبعتها ... منّاً على الفطن الخبير ثقيلا
في كلّ تقرير تقول (خلقتكم) ... أفهل ترى تقريرك التنزيلا
هل من ندائك على المدارس أنّها ... تذر العلوم وتأخذ (الفوتبولا)؟!
أم من صيانتك القضاء بمصر أن ... تأتي بقاضي (دنشواي) وكيلا
أم هل يعدلك الإضاعة منّة ... جيش كجيش الهند بات ذليلا؟
أنظر، إلى فتيانه ما شأنهم ... أوليس شأناً في الجيوش ضئيلا؟
حرمتهم أن يبلغوا رتب العلا ... ورفعت قومك فوقهم تفضيلا

حافظ إبراهيم (1872- 1932)

قضى شاعر النيل، حافظ إبراهيم، عن عمر يناهز الستين، ذاق فيه مرّ اليتم، والفقر، وكان فيه ملولاً متلافاً متبرماً يكثر من الشكوى، يمنّي النّفس بمنصب حكومي يضمن له فيه الرزق. فكان له بداية في الحياة العسكرية[2]، ثم في دار الكتب ما أراد. و(كانت هذه الفترة في حياته - وما أطولها - فترة نضوب في شعره، وجمود في قريحته إلاّ نادراً، فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنّه، ومنفعة له، ومضرّة على الناس)[3].

1- يراجع: الأعلام - 1/136، وشوقي ضيف - شوقي شاعر العصر الحديث - دار المعارف - مصر 1953، وطه حسين - حافظ وشوقي - المجموعة الكاملة - دار الكتاب اللبناني 1974، ود. محمد حسين هيكل - مقدمة الشوقيّات - دار الكتاب العربي - بيروت ؟، وأحمد حسن الزيّات - تاريخ الأدب العربي - ط 28 - دار الثقافة - بيروت 1978.

2- مكث في خدمة الجيش من سنة 1891 - سنة تخرّجه في المدرسة الحربية - حتى أواخر سنة 1903، سنة محاكمته وإحالته إلى الاستيداع ومنه إلى المعاش. وفي كلّ هذه السنوات لم يحصل على غير رتبة ملازم أول.

3- أحمد أمين - ديوان حافظ إبراهيم - ص 19 - منشورات محمد أمين دمج - بيروت 1969. وفي حافظ إبراهيم يراجع: الأعلام 6/76، وطه حسين - حافظ وشوقي وأحمد حسن الزيّات - م. س. ن.

ألّف حافظ إبراهيم مع بعض الضباط المصريين جمعية وطنية سرية، اكتشفها الإنكليز فحاكموا أعضاءها، وهو منهم، فأحيل إلى الاستيداع، ثم أعيد إلى الخدمة في البوليس ثم أحيل إلى المعاش، قبل أن يتولى رئاسة القسم الأدبي في دار الكتب المصرية. من مؤلفاته: (ديوان حافظ) في مجلدين، و(البؤساء) و(ليالي سطيح)...

قال في رئيس فرقته، وقد كان يرفع التقارير السيئة عنه، كثيراً من الأراجيز في ذمّه، جاء في واحدة منها:

تـــراه إذ يـــنفخ في المزمـــار تحســـبه في رتبـــة الســـردار
يجتنـــب العاقـــل والنبيهـــا ويعشـــق الجاهـــل والســـفيها

وقال، يوم كان ينطق، مقرعاً الأمة:

أمـــة قـــد فـــتّ في ســـاعدها بغضـــها الأهـــل وحـــبّ الغريـــا
تعشـق الألقـاب في غـير العـلا وتفـــدي بـــالنفوس الرتبـــا
وهـــي والأحـــداث تســـتهدفها تعشـق اللّهـو وتهـوى الطربـا..

وقال والحماسة والبطولة والثقة... ديدنه:

النسـر يطمـح أن يصـيد بأرضـنا ســنريه كيــف يصــيده زغلــولُ..

عبد الحميد بن باديس (1887- 1940)

كان الجزائري عبد الحميد بن باديس داعية لمقارعة الاستعمار ومقاومته، شديد الحملات عليه. حاول الفرنسيون إغراءه، فامتنع، فاضطُهد، وأُوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده[1].

1- يراجع: الأعلام - 289/3.

ترأس ابن باديس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة 1931م إلى وفاته. وأصدر مجلة (الشهاب)، وله في تفسير القرآن الكريم (مجالس التذكير)، و(آثار ابن باديس) في أربع مجلدات.

عبد الرحيم قليلات (1884- 1942)

وعمل الأديب اللبناني - الليبي الأصل - عبد الرحيم مصطفى قليلات في حكومة السودان، وأصدر جريدته (رائد السودان) (1911- 1914) التي اشتهرت بصبغتها الوطنية والأدبية. فقد كانت ملتقى رجال الفكر من دنيا العروبة. عاد إلى بيروت، وفي بدء الحرب العالمية الأولى، سافر منها يريد طرابلس الغرب، فاعتقله الإنكليز (1915- 1919). ورجع إلى بيروت (1920) واشتغل بالتجارة. وزار من بعد الهند واندونيسيا والصين واليابان والفيليبين والولايات المتحدة الأميركية وأوروبا وأفريقيا الغربية... ثم استقر في بيروت فكان بها مديراً للشرطة اللبنانية، ثمّ استقال أو أُقيل من منصبه إثر صدام بينه وبين السلطات الفرنسية[1].

في أسره، تعلّم قليلات اللغة الألمانية إلى جانب التركية والفرنسية والإنكليزية. جمع نظمه في ديوان سمّاه (الهيام)، فيه كثير من القصائد الوطنية، والقصائد القومية في فلسطين وليبيا وسوريا... ومن خلله كانت الإنسانية دينه، لا فرق عنده بين رسالة سماوية وأخرى:

ما ربُّ موساكم وربّ مسيحكم ... يا قوم إلّا نفس محمّد
هو ربّ العالمين فيا ترى ... ما الفرق بين موحّدٍ وموحّدِ؟

إبراهيم شكر (1892- 1944)

عمل البغدادي إبراهيم شكر في الوظائف الحكومية، وأصدر عدّة صحف تعطّلت أو عُطّلت. ونقل من عمل إلى آخر ثمّ أُخرج، لأنه كان من مؤيدي ثورة الكيلاني الفاشلة[2].

1- يراجع: الأعلام 349/3، ود. سالم المعوش- م. س. ن. ص 681، وأحمد قبش- م.س. ن. ص 701.
2- يراجع: الأعلام - 30/1.

كان إبراهيم بن أحمد بن صالح كاتباً صحفياً متين الأسلوب عنيفه، جمعت طائفة من مقالاته في كتاب (قلم وزيد) مصدّر بترجمة له مسهبة، وله (المعلوم والمجهول) و (ديوان الإنتقاء).

مصطفى الغلاييني (1886- 1945)

مارس الشيخ والأديب واللّغوي مصطفى الغلاييني التدريس في مدارس بيروت، وعمل مؤدّباً للأمير طلال، ابن الملك عبدالله ملك شرق الأردن. رافق الحملة التركية الأولى التي زحفت إلى ترعة السويس في مبدأ الحرب العالمية الأولى. وعندما سقطت حكومة الملك فيصل كان في دمشق، عاد بعدها إلى بيروت. قبض عليه الفرنسيون وأودعوه السجن أكثر من مرة (1922- 1924). ثم نفي إلى حيفا، عاد بعدها إلى بيروت، فنُصّب رئيساً للمجلس الإسلامي فيها، وقاضياً شرعياً إلى حين وفاته[1].

من كتبه: (نظرات في اللغة والأدب) و (عظة الناشئين) و (لباب الخيار في سيرة المختار) و(الإسلام روح المدنية) في الرد على كرومر، و(الدروس العربية) و (ديوان الغلاييني)، ومنه قوله في المجد والشمم، مخاطباً العرب:

طال الثواء على الضّراء والألم ... قوموا إلى ردّ هذي الغارة العمم

نمتم على الضّيم ما تشكون نازلة ... دهياء، دهماء، أوهت طاقة الهمم

ناشدتكم يا رجال الحي فاحتشموا ... بالله، والبيض والأمجاد والدّمم

أن تنهضوا من رقاد طال محبسكم ... فيه، إلى كشف ليل الغمّة الظلم

عار على العرب السادات أن يهنوا ... عن دفع هذا الأذى بالأبيض الخذم

لا يرتضي الذّلّ، إن ينزل به، أبداً ... إلاّ الجبان الوضيع النفس والشيَم..

1- يراجع: الأعلام - 7/244، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 114 وما بعدها، ود. سالم المعوش - م. س. ن. ص 679.

ومن ديوانه كذلك، قوله مفتخرا، عام 1924، عندما اعتقلته السلطة الفرنسية، ونفته إلى حيفا:

إن يسجنوني بلا ذنب سوى شمم ... يأبى عليّ الرضا بالمركب الخشن
فالليث ليثٌ وإن تحبسه في قفص ... والسيف سيفٌ وإن تغمده في جفن

إبراهيم الأسطى عمر (1907- 1950)

ونشأ الشاعر الليبي إبراهيم الأسطى عمر يتيماً فقيراً مُعدماً، وذاق من شظف الحياة وضراوة الدهر الأمرّين. تقلّب في المهن البسيطة من عامل إلى فرّاش إلى رافع أثقال إلى كاتب بالمحكمة الشرعية. حاز شهادة (معلّم) سنة 1935. وعندما ابتليت ليبيا بالاستعمار الإيطالي، خرج مهاجراً إلى مصر والشّام والعراق، يعمل لكسب قوته.

وفي مصر، تطوّع جندياً في جيش التحرير السّنوسي، وقاتل الإيطاليين. وبعد ثلاث سنوات (1942) ترك الجيش وعاد إلى ليبيا، فعيّن قاضياً أهلياً في محكمة الصلح بدرنة، وترأس جمعية (عمر المختار)، ونقل إلى مدينة المرج. وحرّمت حكومة برقة على الموظفين الاشتغال بالسياسة، ولم يُطِع، فأُقيل (1948). وعاد إلى درنة وانتخب نائباً في البرلمان البرقاوي[1].

وتوفّاه الله وهو عازب، إذ عاهد نفسه على إلاّ يتزوج حتى تستقل بلاده وتتحرّر.

له ديوان شعري من الشعر الحسن الذي يعجزك تعليل حسنه، دعا فيه إلى النضال ووحدة الكلمة في بلاده. ولقد أوحت إليه حروب الليبيين مع الغزاة الطليان بكثير من شعره الرائع. قال، من قصيدة (الجندي) في مسابقة الإذاعة البريطانية، وقد حصل على جائزتها:

1- يراجع: الأعلام - 55/1، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 517.

بـــين أهـــوال وأخطـــار صـــباحاً ومســـاءْ
أهـلـه، أولاده، أمـوالـه ضـاعـت هباءْ...

ومن شعر النضال الليبي ضد الإيطاليين الغزاة، قوله:

هتـف الجنـدي مـن أعماقـه... خلّـوا السـلاحْ
يـا رفـاقَ الحـرب هيّـا نحتسـي أكـواب راح
نخـب نصـر قـد ربحنـاه بصـبر وكفـاح
ربّ كـأس تـذهب الحـزن وتـأتي بـالمراح
وانخـذال الخصـم في الميـدان معنـاه النجـاح...
سـلّم الأعـداء مـن غـير شـرط أو قيـود
وانتهـت حـرب قـد كـوت كـلّ بعيـد وقريـب
قـد كسـبناها (بـذرات) ونـار وحديـد
فأجـدنا الانتقـام وانتصـرنا والسـلام...

محمّد بن إبراهيم ابن السّراج (1897- 1955)

شـاعر الحمـراء، محمّـد بـن إبـراهيم ابـن السّـراج المراكشي، وافـاه السـعد وانغمس في ملذاته، يوم مدح بعضاً من أعيان أيّامه، وجاراهم في سياستهم مع الاستعمار. إنّـما عندما هـاج بعض الـوطنيين في المغـرب - سـنة 1937 - هـاج معهم فسُجن قريباً من شهر[1].

كان ابن السرّاج مكثراً من نظم (اللزوميّات) على طريقة المعّري. عاب على أحمد شوقي مـا جـاء في روايتـه التمثيليّـة (أميرة الأندلس) عـن ابـن تاشـفين. وألقى في ذلك قصيدة، منها:

تأمّل شوقي عن قريب فما اهتدى وما ضرّ شوقي لو تأمل عن بعد؟!

1- الأعلام - 5/306.

فؤاد الخطيب (1884؟- 1957)

اشترك شاعر الثورة العربية فؤاد الخطيب في الجمعيات السريّة العربية أيام العثمانيين. نشر كثيراً من القصائد الوطنية التي استنهض فيها العرب وناهض سياسة الأتراك. حكم عليه بالإعدام، ففرّ إلى مصر، ثم سافر إلى السودان (الخرطوم)، ومنها إلى الحجاز واتّصل بالشريف حسين الذي عيّنه وكيلاً لوزارة الخارجية عام 1916، فوزيراً للخارجية. ثمّ صار معتمد الحكومة الحجازية لدى الحكومة العربية التي تألفت في دمشق برئاسة فيصل. وبعد موقعة ميسلون، عاد إلى الحجاز وزيراً للخارجية. انتقل عام 1926 إلى إمارة شرق الأردن مستشاراً للأمير عبدالله. وفي عام 1939 استقال من منصبه وعاد إلى وطنه لبنان، وظلّ هناك حتى استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود، سنة 1945، وعيّنه مستشاراً له، ثمّ مفوّضاً للسعودية في أفغانستان، فسفيراً فيها إلى أن وافته المنية[1].

شاعر نقي الديباجة، خلّف ديوان شعر فيه بالثورة الغرائر من القصائد، من أقواله:

حيّ الشريف وحيّ البيت والحرما ... وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

يا صاحب الهمّة الشمّاء أنت لها ... إن كان غيرك يرضى الأين والشّأما

يا آل جنكيز إن تثقل مظالمكم ... على الشعوب فقد كانت لهم نعما

فالظلم أيقظ منهم كلّ ذي سِنة ... ما كان ينهضُ لولا أنّه ظلما

وقوله:

لمن المضارب في ظلال الوادي ... ريّا الرحاب تغصّ بالورّاد

الله أكبر تلك أمّة يعرب ... نفرت من الأغوار والأنجادِ

1- الأعلام - 5/160، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 112.

أحمد علي الشارف (1872- 1959)

تقلّب شيخ الشعراء، أحمد علي الشارف، في وظائف عديدة. فقد اشتغل بوظيفة خطيب ومدّرس ثم صار قاضياً بالمحكمة الشرعية العليا. التحق بالمجاهدين الليبيين ضد الإيطاليين. أُسر ثم أُطلق سراحه[1].

لقّب الشارف بشيخ الشعراء، وشاعر القطرين – أي طرابلس وبرقة – وبشاعر ليبيا الأكبر. خصب شعره في الحماسة والفخر والوطنيات...

وقال في وصف الصحراء، معبّراً عن مشاعر مواطنيه:

وشاسعة الأطراف واسعة الفضا ... فلم تدر في ظلمائها أين تذهب
ولم يك في الظلماء نور مبدّد ... يسبسبها إلاّ إذا لاح كوكب
وحوش بها شتّى ولكن قويُّها ... على ضعفاء الجنس لا يتغلّب
وحوش فلم يعرف لديها تحزّب ... وهل في بني الإنسان إلاّ التحزّب؟!

خليل مردم بك (1895- 1959)

خليل مردم بك رئيس الرابطة الأدبية، والعضو في عددٍ من مجامع اللّغة العربية، وأمين سرّ المجمع العلمي بدمشق، ثم رئيسه، وعضو مدرسة الدراسات الشرقية بلندن، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ومجمع البحر المتوسط في (بالرمو)، ثمّ الوزير الذي تولّى أكثر من حقيبة وزارية... كان قد عيّن عام 1918 مميّزاً لديوان الرسائل العامة، لكنه ترك الوظيفة عند دخول الفرنسيين دمشق. وفي ثورة 1925 نشر قصيدته « يوم الفزع الأكبر» فطاردته السلطات الفرنسية، فهرب إلى لبنان، ومنه إلى الإسكندرية، ثم سافر إلى لندن[2].

خلّف ديواناً شعرياً طغت على نظمه قصائد الوصف والحماسة والوطنية والنسيب. ومن شعره في الشهداء، والدعوة إلى الثورة والنضال، قوله:

1- أحمد قبش - م. س. ن. ص 141.

2- الأعلام - 315/2، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 267.

في ميسلون من الأشجان سلسلة ... نيطت بأطرافها أرجاءُ أروادِ
هل من سبيل إلى الإنصاف في زمن ... جلّت روايته عن حصر وتعدادِ؟

وقوله:

بني العروبة كم من نصيحة ذهبت ... لو يستثار بها الموتى إذن ثاروا
يا ليت شعري ماذا يستفزكم ... كم أرسلت شرراً بالقدح أحجار..؟!

بدر الدين الحامد (1897؟- 1961)

درّس الشاعر السوري، بدر الدين الحامد، الأدب سنة 1919 في مدارس الحكومة. وشارك بشعره الوطني والقومي الثائر الرصين في الحركات الوطنية. فاضطهده الفرنسيون وسجنوه في إثر ثورة حماه سنة (1925)[1].

الحامد ثائر من النوع السلفي، نشر ديوانه الأول (النواعير) سنة 1928م، و(ديوانه) الكبير بعده، وله (رواية ميسلون) تمثيلية شعرية.

أحمد رفيق المهدوي (1898- 1961)

التحق الشاعر الوطني الليبي أحمد رفيق المهدوي بوظيفة سكرتير في بلدية بنغازي عام 1920، ثمّ عزله الإيطاليون، فهاجر إلى تركيّا واشتغل بالتجارة. وفي عام 1934، رجع إلى بنغازي وبقي فيها سنتين، ثمّ نُفي، فذهب مرة ثانية إلى تركيا واشتغل بالتجارة، ثمّ تولّى بعض الوظائف الحكومية. عاد إلى وطنه عام 1946، وظلّ بدون عمل إلى أن عُيّن عضواً بمجلس الشيوخ الليبي عام 1951. وتوفي مجاهداً لم يقصّر في موقف جريء احتمل من أجله الظلم والاضطهاد[2].

1- يراجع: الأعلام - 46/2، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 731، ود. سالم المعوش م. س. ن. ص 663.

2- يراجع: خير الدين الزّركلي - م. س. ن. 126/1، ود. سالم المعوش م. س. ن. ص 684، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 406.

جمع بعض شعر المهدوي في ديوان (رفيق شاعر الوطنية الليبية)، قال في قصيدة عنوانها (إلى إيطاليا):

قد انفلت الحمار بأمّ عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمارُ
إلى بئس المقرّ وحيث ألقت برحل حول ساحته الدمارُ

وفي قصيدة (ليبيا تحيي إخوانها) جاء قوله:

يا بني يعرب قد حطمّت أغلالي وقيدي
وصرعت الباطل الباغي بإيماني وجهدي
وملأت الأرض من أشلاء شعب مستبدٌ
خالني في الشرق فردوساً بلا أهل وجند...

عمر الزعنّي (1898- 1961)

واضطهد الشاعر الشعبي عمر الزعنّي (حنين)، وسجن مرات. وأخرجه الفرنسيون من الوظيفة التي كان يشغلها في محكمة بيروت، لأنشودة قالها تقدح في سياستهم. وكلّ أناشيده نقد لسياستهم[1].

عمل أيام الحرب العالمية الأولى في الجيش العثماني بصفة ضابط احتياط. وأولع بالعزف على (البزق)، ونظم الأغاني الشعبية وتلحينها، وألّف فرقة طبالين وزمّارين تعمل معه.

كان الزعّني ينظم أغانية بالجملة، ويبنيها – غالباً – على ما يسمع من أمثال العامة وكلمات الباعة وشكاوي الناس... فتداولتها محطات الإذاعة. ولعلّ من أشهرها: (فتّح عينك أنا مش منهم) و(كانوا ملوك صاروا ناس) و(حاسب يا فرنك) و(لو كنت حصان)...

فارس الخوري (1873- 1962)

الأديب والخطيب والمحامي والسياسي، فارس الخوري، عمل في الترجمة والتدريس والمحاماة والصحافة. انتخب رئيساً لمجلس النواب السوري سنة

1- يراجع: خير الدين الزّركلي - م. س. ن. 47/5.

1936، وأُعيد انتخابه لهذا المنصب أكثر من مرة (1943- 1949)، فرئيساً للوزارة (1944- 1945)، وكان قد سبق له أن تولّى عدة حقائب وزارية، ثم مثّل سوريا لدى منظمة الأمم المتحدة مرّات.

عبّر الخوري عن آرائه السياسية، لا سيما في الحرية والديمقراطية، ونظراً لآرائه الجريئة ودفاعه عن شهداء 6 أيار الذين أعدمهم جمال باشا، سُجن بتهمة التآمر على الدولة، وبُرئ ونفي بعدها إلى اسطنبول. وبعد انتهاء الحكم التركي عاد إلى دمشق ليواجه مستعمراً آخر، فتابع كفاحه الوطني ضد الفرنسيين الذين نفوه للمرة الأولى سنة 1925 إلى أرواد. ثمّ أبعدوه ثانيةً منفياً من 1926 حتى سنة 1928[1].

استخرج الخوري من دروسه في معهد الحقوق كتابين، هما (أصول المحاكمات الحقوقية) و(موجز في علم المالية)، وله شعر منه (وقائع الحرب) أربع قصائد في تاريخ حرب الروس واليابان.

عباس محمود العقّاد (1889- 1964)

التحق عباس محمود العقّاد ببعض الوظائف الحكومية، ثم تركها إلى الصحافة. تعرّف على سعد زغلول، وأصبح كاتب حزب الوفد ولسانه في الجمهور، وقاد في هذا الميدان معارك مع كتاب الأحزاب الأخرى، لآرائه السياسية المنددة بالظلم، والداعية إلى التحرّر، سجنه ملك مصر (فؤاد الأول). وقد وصف العقّاد حياته في السجن في كتابه (عالم السجون والقيود)[2].

له في الشعر عشرة دواوين، وكتب السّير والتراجم في (محمّد)صلعم، و(المسيح)عليه السلام، و(أبي بكر) و(عمر) و(علي)، وكتاب عقائد المفكرين في

1- يراجع: م. س. ن. 5/128، ود. سالم المعوش م. س. ن. ص 667.

2- يراجع: أحمد قبش - م. س. ن. ص 227 وما بعدها، وخير الدين الزّركلي - م. س. ن. 3/266، ود. سالم المعوش م. س. ن. ص 677، ورجاء نقّاش - أدباء ومواقف - ص 9 وما بعدها، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت ؟.

القرن العشرين)، وترجم في كتابه (أنا) حياته، وبلغ ما كتبه نحواً من ثمانين مؤلفاً.

قال من قصيدة بعد رجوع سعد زغلول من منفاه:

... ما يبتغ الشعب لا يدفعه مقتدر ... من الطغاة ولا يمنعه مغتصب
فاطلب نصيبك شعب النيل واسمُ له ... وانظر بعينيك ماذا يفعل الدّأب
ما بين أن تطلبوا المجد المعدّ لكم ... وأن تنالوه إلاّ العزم والطلب

بدر شاكر السيّاب (1926- 1964)

وعانى بدر شاكر السيّاب التدريس بضعة شهور، ثمّ عُيّن في مديرية التجارة العامة في العراق. سجن أكثر من مرة لاشتراكه في الانتفاضات المتكرّرة ضد الإنكليز وضدّ الحكم العراقي. نُقل من عمله عدة مرات، وفُصل عدة مرات، ثم فُصل نهائياً لأسباب سياسية، فاتجه نحو العمل الحرّ. أصيب في أواخر حياته بالسّل أو الشلّل، حتى توفي في مستشفى بالكويت[1].

نشر السيّاب مجموعات من نظمه، منها (أزهار ذابلة) و(أساطير) و(أنشودة المطر) و(المعبد الغريق)... وله ديوان سمّاه (أعاصير). وقال من قصيدته (قافلة الضيّاع) من ديوانه (أنشودة المطر):

أرأيت قافلة الضيّاع؟ أما رأيت النازحين
الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين
آثام كلّ الخاطئين
النازحين بلا دماء
السائرين إلى وراء

1- يراجع: الأعلام - 45/2، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 655، ود. سالم المعوش - م. س. ن. ص 674.

كي يدفنوا (هابيل) وهو على الصليب ركام طين!..

(قابيل إين أخوك؟)

(يرقد في خيام اللاجئين)

رئيف خوري (1912؟ - 1967)

منذ العام 1932، مارس رئيف خوري تدريسه مادة الأدب العربي في الجامعة الأميركية في بيروت، وتابع كتاباته في الصحف، ولما كان منفطراً على الوطنية والقومية، ومطلّعاً على الأفكار الاشتراكية، فقد اندفع يشارك في الانتفاضات المتلاحقة - في ذلك الوقت - ضدّ الانتداب البريطاني، ومشاريعه الاستيطانية في فلسطين، وأساليبه غير الإنسانية، فانضّم إلى قافلة المناضلين، وكان عنصراً أساسياً من عناصر انتفاضة 1936، إذ صاغ مع رفاقه مطالب الانتفاضة التي تمحورت حول: منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وعدم بيع الأراضي، وتشكيل حكومة فلسطينية ديمقراطية مستقلة، والإجماع على رفض سياسة الكبت والقمع التي تمارسها السلطة البريطانية[1].

ودأب رئيف خوري على تحريض الجماهير، ووضع المؤلفات، والدعوة إلى التكاتف والوقوف في وجه المؤامرات التي تحاك ضد الفلسطينيين وفلسطين. كما اقترح برنامجاً ثورياً ضد الإنكليز، والكفاح ضد الحركة الصهيونية الاستيطانية...[2].

وعند عودته من مؤتمر الشبيبة العالمي الذي انعقد في نيويورك عام 1938، جرى له في بيروت استقبال شعبي كبير، وأُحتفي به في أحد الفنادق، تقديراً لدوره في المؤتمر، والانتفاضة الفلسطينية، إذ رفع راية القضية، وخاض في المؤتمر معركة

1- محمد دكروب - مجلة الطريق - ص 137 - عدد شباط - بيروت 1989.

2- من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، مقالاته: أيّها الأديب من أنت؟، والأدب والرسالة القومية، والغضب والإنسان، والحب الصحيح للحياة... ومؤلفاته: معالم الوعي القومي، ومع العرب في التاريخ والأسطورة، والأدب المسؤول، وجهاد فلسطين أو ثورة الفتى العربي...

ضد الصهيونيين ومؤيديهم، وطالب بجلاء الإنكليز عن فلسطين... إنّما في الوقت ذاته، منعته السلطات الإنكليزية من دخول فلسطين. ومُنع من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت، وفُصلَ من العمل...[1].

من مؤلفاته: (جهاد فلسطين) و(ثورة بيديا) مسرحية شعرية تدور حوادثها حول قضية الشعب الفلسطيني وكفاحه، و(حقوق الإنسان) و(معالم الوعي القومي)...

وكان رئيف خوري في طليعة المثقفين الوطنيين الذين حملوا هموم المجتمع. كما آمن بالتلازم بين السياسة والأدب، فقال: (القطع بين السياسة والأدب مستحيل: مستحيل في غير هذه الفترة من البعث العربي، القومي، وهو أكثر استحالة في هذه الفترة بالذات. قد يوجد سياسة بلا أدب، ولكن لا أدب بلا معنى سياسي...) ومن تساؤلاته الإنكاريّة:

ألسنا نطلب الخبز لشعبنا؟ ألسنا نطلب منع الغلاء والإحتكار..؟ ألسنا نطلب الثقافة والازدهار والحكم الديمقراطي الصحيح لشعبنا؟...

محمد سرور الصبّان (1899- 1972)

تسلّم رائد الأدب الحديث في الحجاز، محمد سرور الصبّان، عدّة مناصب حكومية رفيعة. انتخب عضواً في المجلس الأهلي السعودي فسكرتيراً له. سجنه الملك عبد العزيز آل سعود ضمن المعتقلين السياسيين. ومن ثمّ نُفيَ إلى الرياض وبقي مسجوناً فيها إلى العام 1947 حين عُفي عنه. بعدها اشتغل بالأعمال التجارية حتى عُيّن رئيساً لقلم التحريرات بوزارة المالية. ثمّ مديراً لإدارتها. عُيّن أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي[2].

اهتم الصبّان بالموضوعات القومية والاجتماعية والوطنية، فهو يقول في الوطن:

1- يراجع: الأعلام - 13/3، ود. سالم المعوش - الأدب العربي الحديث - ص 238 وما بعدها، دار المواسم - بيروت 1999.

2- يراجع: أحمد قبش - م. س. ن. ص 428، ود. سالم المعوش - شعر السجون - ص 675.

زعـم العـواذل أنّـني ... أسـلو وأجـنح للرّقـاد
كذبوا وحقّك لست أقد ... ر أن أعـيش بـلا فـؤاد
ولسـوف أصبر للمصائـ ... ـب والكـوارث والبعـاد
حتـى أراك ممتّعـاً ... بـالعزّ مـا بـين الـبلاد

مهدي البصير (1895؟- 1974)

لم يشفع فقدان البصر للأديب العراقي الدكتور محمد مهدي عبد الحسين - مهدي البصير - فقد اقتحم شعره وخطبه ثورة العراق على الإنكليز، عام 1919، فاعتقل مرتين في سنتي (1920 و1921)[1].

من آثاره: (دولة الدخلاء) و(خطرات) و(تاريخ القضية العراقية) و(الشذرات) و(زبد الأمواج)... قال من قصيدة (يا صبا)، عام 1920م، معبّراً فيها عن الخيبة المرّة التي شعر بها العرب عندما لم يحقّق الحلفاء للعرب عهودهم التي قطعوها:

يـا صبا هـاك مـن دمـوعي طلّـه ... فلعـلّ الهـوى يـرقّ لعلّـه
لا تهبّـي في مـوطن يكـتم المـ ... ـرء بـه علمـه ويظهـر جهلـه
أنـا حرّ لـولا حكومـة سـحر ... جهّزت لي بالأعين النّجل حلمه
زعمـت أنـّها سـلامٌ ونـورٌ ... بيـد أنّـي وجـدت نـاراً مطلّـه

خير الدين الزّركلي (1893- 1978)

انقطع خير الدين الزركلي إلى الكليّة العلمانية (اللاّييك) في بيروت تلميذاً فمدرّساً. رجع إلى موطنه الأول بعد الحرب العالمية الأولى، وأصدر جريدة (لسان العرب) و(المفيد). غادر دمشق إثر وقعة ميسلون عام 1920، إلى فلسطين فمصر فالحجاز. صدر حكم الفرنسيين غيابياً بإعدامه وحجز أملاكه. اكتسب الجنسية العربية من الحجاز. انتدبه الملك حسين لمساعدة ابنه الأمير عبدالله، فأسهم مع

1- يراجع: خير الدين الزّركلي - م. س. ن. 7/116، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 254.

جماعة في دخول عبدالله إلى عمّان وإنشاء الحكومة الأولى. في عمّان صار المفتش الأول للمعارف. ضيّق عليه عبدالله، فقصد مصر وأنشأ فيها (المطبعة العربية). عيّنه الأمير فيصل آل سعود مستشاراً للمفوضيّة العربية السعودية في القاهرة، وكان أحد المندوبين في إنشاء جامعة الدول العربية. ثمّ شغل منصب سفير السعودية في المغرب حتى عام 1965[1].

من آثاره: (معجم الأعلام) و(ما رأيت وما سمعت) وهو من أدب الرحلة، و(عامان في عمّان) مذكراته في عمّان خلال عامين، وقصة شعرية صغيرة بعنوان (ماجدولين والشاعر)، وله ديوان شعري صغير تقف فيه على حوادث عاصرها، فنظم فيها مقطوعات أو قصائد قلّما تجاوزت القصيدة منها الثلاثين بيتاً.

قال يخاطب الأمير عبدالله، يحثه على نجدة سوريا التي احتلها الفرنسيون، وقد نصّب الملك فيصل على العراق:

أبا نائف جاز الرصافة فيصل ... وسورية يعلو لديك نواحها
فهل أنت مذكي نارها فمجيرها ... عشية إذ ريعت وخيف افتضاحها
وإلاّ فيا للذل بعد اعتزازها ... لقد هان في عين العداة اكتساحها

ومن نظمه:

من كان أقصى همّه (شطرنجه) ... كانت (بيادقه) له أجنادا
ما كان الإستقلال ما آتاهمُ ... من (لندنٍ) بل كان الاستعبادا

محمد مهدي الجواهري (1900- 1998)

شارك رئيس اتحاد الأدباء العراقيين، الشاعر السياسي الاجتماعي محمد مهدي الجواهري، في كل الثورات السياسية التقدمية في العراق. فقد شارك في ثورة 1920 ضد البريطانيين، وشارك في ثورة 1936 ضد حكومة حكمت سليمان،

1- يراجع: مقدمة الأعلام، وأحمد قبش - م. س. ن. ص 125.

كما شارك في ثورة 1948 وأصيب بأخيه جعفر. وشارك أيضاً في أحداث 1950 و 1953، واضطُهد كثيراً... وفي عام 1956 نفته السلطة العراقية إلى سوريا التي اعتبرته لاجئاً سياسياً. ثمّ عاد إلى العراق في إثر ثورة 14 تموز 1958، ليلجأ عام 1961 - 1962 إلى تشيكوسلوفاكيا لميوله اليسارية المتطرفة، ويبقى هناك حتى قيام ثورة 17 تموز 1968، إذ أرجعته السلطة وأعطته راتباً تقاعدياً مقطوعاً قدره «150» ديناراً عراقياً في الشهر، إذ كان قد فُصل مبكراً عن عمله[1].

الجواهري شاعر مناسبات، وكانت المناسبة عنده للتعبير عمّا يعرض له في الحياة. ندّد بالحكّام، وحمل على المستعمرين، وحارب الرجعيين، ونقد المتحكّمين مرّ النقد، وسخر منهم.

قال من قصيدة عناونها (ما تشاؤون):

ما تشاؤون فاصنعوا ... فرصة لا تضيعُ
فرصة أن تحكّموا ... وتحطّوا وترفعوا
ما تشاؤون فاصنعوا ... كلّ عاص يطوّعُ
فشباب يخيفكم ... للمطامير يدفعُ
ولسان ينوشكم ... بالدنانير يقطعُ
ما تشاؤون فاصنعوا ... جوّعوهم لتشبعوا

وفي (تنويمة الجياع) جاء قوله:

نامي جياع الشعب نامي ... حرستك آلهة الطعام
نامي فإن لم تشبعي ... من يقظة فمن المنام
نامي تصحّي! نعمَ نومُ ... المرء في الكُرَب الجسام

1- يراجع: أحمد قبش - م. س. ن. ص 499 وما بعدها، ود. سالم المعوش - شعر السجون - ص 663.

عبد الوهّاب البيّاتي (1926- 1999)

الشاعر عبد الوهّاب البيّاتي، المدرس في المدارس الثانوية العراقية، اعتُقل لمدة أربع سنوات «1950 - 1954» لاشتراكه في المعارضة السياسية ضد حكومة نوري السعيد، فعُذب واضطُهد وفُصل من وظيفته، ثمّ نفي إلى خارج العراق، فسافر إلى بيروت ثمّ انتقل إلى مصر فسوريا، وزار الاتحاد السوفيتي، وعاد إلى بغداد إثر ثورة 14 تموز 1958، ليُنفى من جديد بسبب مواقفه الوطنية... وفي العام 1963 أُسقطت عنه الجنسية العراقية، وسُحب جواز سفره، ولم يعد إلى عراقيته إلاّ في العام 1968[1].

من دواوينه: (أباريق مهشمة) و(قصائد)، و(المجد للأطفال والزيتون) و(أشعار في المنفى) و(كلمات لا تموت)... قال من قصيدة عنوانها (مسافر بلا حقائب):

من لا مكانْ
لا وجهَ لا تاريخَ لي، من لا مكانْ
تحت السماء وفي عويل الريح أسمعها تناديني: (تعالْ)
لا وجهَ لا تاريخ... أسمعها تناديني: (تعالْ)
عَبْرَ التلالْ
مستنقع التاريخ يعبره رجالْ
عددَ الرمال
والأرض ما زالت، وما زال الرجالْ
عبْرَ التلالْ

1- يراجع: أحمد قنش - م. س. ن. ص 661، ود. سالم المعوش - شعر السجون - ص 661.

هلال بن بدر البوسعيدي (1895 -)

في عام 1935، عيّن الشاعر هلال بن بدر البوسعيدي سكرتيراً لسلطان مسقط، وعُيّن عام 1940 رئيساً لأول مجلس بلدي في مسقط، ولكنه طُرد من هذا العمل عام 1945[1].

شاعر سلفي، وصف في شعره آلام شعبه وأمراضه الإجتماعية. وجّه بعض نظمه إلى سلطان مسقط في ذلك الحين، وسمّي شاعر البلاط، إلاّ أنه لم يحصر خواطره بوطنه فحسب، إنّما حلّق في كثير من قضايا وهموم الأمة العربية والأمم الإسلامية.

محمد العيد محمد علي خليفة (1904-)

شارك أمير شعراء الجزائر، محمد العيد محمد علي خليفة، في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات. أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وفي عام 1940 غادر العاصمة الجزائرية إلى بسكرة. أُلقي القبض عليه بعد اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى، وفُرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة، وبقي تحت رقابة مشدّدة إلى أن فرج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال[2].

محمد العيد شاعر الوطنية الجزائرية، شاعر الشعب، وشاعر القومية العربية، وشاعر الدين الإسلامي. في شعره صور من آمال شعبه وشعارات قومه وتراثه العربي الإسلامي..

لقد صوّر بيئته دون إطراء أو تزويق، متمشّياً مع التيّار الوطني المتدفق في نفسية الشعب، فقال:

نـح على أمـة حظّهـا نـاعسُ ... أمّـــة مجـــدها دراجٌ دارسُ

أمّـــة مالهـــا قائـــد ســـائسُ ... قد نبا سيفها وكبا الفارسُ

خصمها دائبٌ فوقـــها دائسُ ... وبنـــوها أخٌ لأخ بـاخـــسُ

1- يراجع: أحمد قبش - م. س. ن. ص 426.

2- يراجع: أحمد قبش، م. س. ن. ص 158.

ومن قصيدة يعرض فيها بالخونة، قوله:

قف حيث شعبك مهما كان موقفه ... أولا فأنك عضو منه منحسمُ
أعدى عدى القوم من يعزى لهم نسباً ... ويسمعُ القدح فيهم وهو يبتسمُ

ابراهيم الحضراني (1920-)

كان شاعر قحطان، ابراهيم الحضراني، موظفاً في وزارة الإعلام والإرشاد اليمنية، وهو من أنصار ثورة عام 1948 التي قتلت الإمام يحيى... من أجل ذلك اعتقله أحمد بن يحيى ونقله إلى سجن «حجّة». وفي أعماق السجن كان الحضراني ينتظر صوت المنادي ليذهب به إلى ساحة الإعدام...[1]، فارتجل قائلاً:

كم تعذّبت في سبيل بلادي ... وتعرّضت للمنون مراراً
وأنا اليوم في سبيل بلادي ... أبذل الروح راضياً مختارا

إلاّ أنه في النهاية سلم. وكان – وهو ينتظر حكم الإعدام – قد قال:

والله ما أخفت المنايا وهنه ... طلائعها مني بمرأىً ومسمع
ولكنّ حقاً في فؤادي لأمّتي ... أخاف إذا ما متّ من موته معي

وهو القائل:

حتّامَ يا وطني أراك تضامُ ... وعلى جنبيك تُعبدُ الأصنامُ
والامَ يرتفع الطغاة ويعتلي ... عرش (التّبابع) معشر أقزام

سليمان العيسى (1922-

عيّن ابن لواء الاسكندرون السليب، سليمان العيسى، مدرّساً للأدب العربي في ثانوية المأمون بحلب، وعمل في الصحافة، وتولّى منصب مفتش أول لمادة اللغة العربية في وزارة التربية السورية. كان واحداً من اللوائيين الذين يمثلون

1- يراجع: م. س. ن. ص 526 وما بعدها، ود. سالم المعوش - شعر السجون - ص 665.

الثورة المتطرفة في الوطن العربي، لآرائه واشتراكه في النضال الوطني والقومي، سجن عدّة مرات أيام حكومة أديب الشيشكلي عام 1954[1].

نظم سليمان العيسى الشعر، وكانت قصائده التي انتظمتها دواوينه – بمعظمها – تدور حول أحداث الوطن العربي. ففي ديوانه (رسائل مؤرقة)، يقول في إحدى رسائله وقد وجّهها إلى البطل سجين فرنسا أحمد بن بيلا:

قلبي معكْ

قلب العروبة كلّها

في سجنكَ الداجي معكْ

يا عارفاً بين الحديدْ

من الرجولة موضعكْ

يا صامتاً.. روّعت منْ

حشد اللّظى ليروّعكْ..

وعلى مثل هذا الوتر يعزف الشاعر في دواوين، منها: (مع الفجر) و(أعاصير في السلاسل) و(رمال عطشى) و(شاعر في النظارة) و(فتى غفار) و(قصائد عربية) و(صلاة لأرض الثورة)...

أحمد بن محمد الشامي (1924-)

نشأ الشاعر اليمني أحمد بن محمد الشامي يتيماً ذاق مرارة التشرّد وجوى النجران. ولمّا شبّ أيّد ثورة 1948، ودفع ضريبة تأييده لها سجناً وتعذيباً خمسة أعوام، تاب بعدها إلى جلاّديه، وثاب إليهم يمدحهم، فُعيّن في مناصب رسمية

1- يراجع: أحمد قبش - م. س. ن. ص 606، ود. سالم المعوش - شعر السجون - ص 678.

عدة. وعندما قامت ثورة 1962، اختار الوقوف بجانب الملكية، فكان من جزاء ذلك أن حكم عليه بالإعدام غيابياً[1].

كتب الشامي في النثر (قصة الأدب في اليمن) و(تاريخ الأدب اليمني) و(من الأعماق)... أمّا في الشعر، فمن دواوينه: ديوان (النّفس الأوّل) وديوان (علالة مغترب) وديوان (ألياذة من صنعاء).

وكان الشامي لهجاً بالعروبة يكشف عن إيمانه بها في قصائده القومية، حالماً بالوطن العربي الواحد. من ذلك قوله:

أبني العروبةِ والعروبةُ أمّةٌ ... قد وحّدتها طاعة الرّحمن
لا فرق بين يمانها وشآمها ... وعراقها والشمّ من لبنانَ
ولمصرَ أختٌ والحجاز يضمّنا ... لغةٌ ودينٌ واتحاد أمانيَ

مالك حدّاد (1926-)

عمل مالك حدّاد مدرساً في المدارس الثانوية فترة من الزمن. وشارك مع الثورة الجزائرية في تحرير الصحف الوطنية، وكتابة الشعر، وتأليف القصّة. فداهمت السلطات الفرنسية منزله، ونفته إلى أوروبا حيث كرّس حياته للكتابة عن الثورة الجزائرية، والتغنّي ببطولة الشعب، وبمستقبل الجزائر المتحرّرة...[2].

من آثاره: (الانطباع الأخير) و(سأهديك غزاله) و(أنا المعلم والتلميذ) و(رصيف الورود لم يعد يجيب) روايات صدرت تباعاً ما بين عام 1958 وعام 1961، أمّا في الشعر، فله ديوان (الشقاء في خطر) وديوان (أسمع وأناديك)... وقد اتّصف شعره بأنه نواح حزين على مأساة الشعب الجزائري والأمم المغلوبة على أمرها.

1- يراجع: أحمد بن محمد الشامي - مع الشعر المعاصر في اليمن - دار النفائس - بيروت 1980، و أحمد قبش - م. س. ن. ص 528، ود. سالم المعوش - شعر السجون - ص 674.

2- يراجع: أحمد قبش - تاريخ الشعر العربي الحديث - ص 535 - ؟ - 1971.

قال من قصيدة (المخاض العظيم):

واختنق عاملٌ من شمال أفريقيا في كوخه
وانتهت أولى أناشيدي
بزفرة موجعةٍ
وانزلقت في الرذيلة فاطمةْ
التماساً لكسرة الخبز
أنّ تاريخاً كاملاً ليُسطَر ويمثل هذه الأحداث
الشقاء نفسهُ يتألّبُ علينا
وددتُ لو أعرف اسم الشقاء.

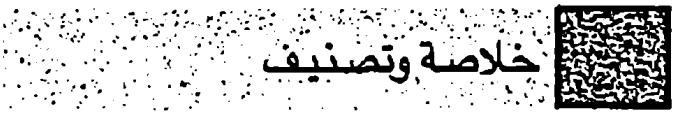

على العموم - وبعيداً عن أدب الدعاية والإعلان - أنّ هذه الكوكبة من الأدباء العرب الموظفين، قد عاشوا عصر الإنسان العادي، وليس عصر الملوك والأبطال والأساطير... حيث بات الأدب أدب العامّة، ولم يعد أدب الخاصّة. لقد خرج من القصور إلى الأسواق والجحور، ومن الظلمات إلى النور... ومزقت الحجب، فخرج من خلف الكواليس - رغم كثافة الستائر - ليلعب على مسرح الحياة. والأديب واحد من اللاّعبين، لا يعرف التفّرغ للحزن. إنه يجري وراء مطالب حياته - وربّما حياة الآخرين - ثم يتنفس أحزانه بهدوء وبساطة.

ومهما ارتبط أدب الأديب بموهبته، وتجاربه النفسية المستقلة، ورؤاه... لا بدّ أن ينبع من انصهارات الأديب في العالم الواقعي الذي يعيش فيه، من انفعالاته الحسّاسة العالية الدرجة، من حركته الدائمة بين الناس المختلفي المشارب والمآرب... العوام والمثقفين والعلماء والسياسيين...

لا شك، أنّ الأمة العربية - في هذه الفترة من التاريخ - كانت أمّة حزينة مسحوقة تنتظر الخلاص الآتي من متفجرات الأدباء التي إن أحسن الساسة والعسكر... تفجيرها، تشظّت في كل اتجاه مجتمعات سعيدة حرّة تمتلك زمام أمورها. فقد كان العالم العربي منطقة مفتوحة مشرّعة الأبواب لكل الغزاة الطامعين الطامحين من شتّى أنحاء العالم. فهي فردوس أموالهم وانحلالهم

ورغبتهم الوحشية الجامحة في الثراء واللّذة. هي أرض أحلامهم وروح أماني الجميع، إلاّ بالنسبة لأبنائها الأصليّين الذين كانوا يرتعون في جحيم الفقر والألم والجهل، ويخوضون عباب تيّاراتٍ من الشقاء والتعاسة والتبعيّة...

والواقع، أنّ الاستعمار أو الانتداب، أو ما شاكلهما من القوى التسلطية، لم تكن - أبداً - عنصر بناء وتحضير، بل كانت - على الدّوام - عنصر شرّ وتدمير. ومن الطبيعي أن يكون للأديب الذي يريد أن يؤثّر في الناس، رأي يتحمّس له وينادي به، أو موقف يذود عنه، أو فلسفة يتبنّاها... فالأديب الفنان أو المفكر الذي يطمح إلى حياة متجدّدة في مجتمع أكثر حيوية ونشاطاً وقوة... لا بدّ أن يصطدم بضرورات هذا المجتمع الراكد، ويثور عليها ويختلف معها. وتكون النتيجة - في الغالب - الحكم عليه بالمطاردة أو النفي أو السجن أو المصادرة أو الإعدام... أو بأكثر من حكم واحد، ولعلّ أعتاها أن يتبرّأ منه أهله وأسرته. فنفي الأدباء وطردهم من مواطنهم الأصلية وغير ذلك من الأحكام، عادة تعوّدت عليها سلطات الاحتلال أو الانتداب المهذبة جداً!!! وعادة الأنظمة المحلية وأهلها الغيارى على الدستور والقوانين المرعيّة الإجراء!!!

ولعلّ الأديب العربي الموظّف الذي مهّد لما نحن فيه في يومنا المعاصر، والذي اصطرع مع ضرورات وحدود البيئات الطبيعية، والأنظمة الاجتماعية، والنظم السياسية والدينية والعقائدية والفنية... لعلّه نزيل واحد من الاتجاهات التالية:

1- في الاتجاه الأول نجد بعض الأدباء ممن لبسوا عباءة سياسية ذات سطوة، منهم:

أ- فئة رحلت مع أسيادها، إنّما تحرّرت ذاتها واتسعت دائرة أدبها لتشمل البسطاء والعامة والماضي والحاضر... لقد كان أحمد شوقي رجلاً ثرياً، يعيش في قلب الطبقة العليا في المجتمع، يعيش في القصور وبين الأمراء، مرتهن الذات والأدب... إنّما وإن بقي - بعد نفيه وعودته إلى مصر - يعيش حياة أرستقراطية في (كرمة ابن هانئ)، إلاّ أنه هجر التملّق وتحرّر أدبه وذاته، وكان الرئيس الأول لجماعة

(أبولو) التي تحلق في حومتها عدد لا بأس به من الشعراء العرب من مختلف الاتجاهات الأدبية والسياسية...

ب- وفئة وافاها السعد يوم جارت البلاط في سياساته، وتعامت عن سيئاته. إنّما جرّة قلم، أو زلّة قدم نحو هياج الشعب ومناصرته أو ما شابه، أودت بها إلى السجن أو الطرد من العمل. من هذا القبيل ما انتهى إليه كلّ من محمد بن إبراهيم ابن السرّاج، وهلال بن بدر البوسعيدي.

ج- وفئة ثالثة وقتها العباءة حيناً، وقصّرت حيناً آخر. فإن وقت عباءة سعد زغلول الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي وردّت عنه سهام (دنلوب)، فإنها لم تقِ النائب في البرلمان المصري عباس محمود العقّاد الذي ارتبط بسعد أكثر من ارتباطه بالوفد، وأُدخِل السجن سنة 1930، وبقي فيه تسعة أشهر على أثر خطاب برلماني هاجم فيه الملك (فؤاد) لمحاولة اعتدائه على الدستور، وكأنّ الدستور في خدمة السلطان!!!(1).

2- وفي الاتجاه الثاني، نجد بعض الأدباء ممّن تملّقوا الوظيفة. فإن دفعهم ضيق ذات اليد، وصعوبة العيش إلى الصمت، فإن صمتهم كان بمثابة مهادنة وتمسّك بالوظيفة. فتطلّعهم إلى التمرد، أو محاولتهم التحرّر من قيود النظم المظلمة الظالمة كافٍ - بلغة الحياة اليومية - إلى تملّق لقمة العيش...

كان حافظ إبراهيم رجلاً (برّياً)، نشأ في ظلال الفقر والحاجة وعزّة النفس... طفيلياً على أحضان الطبقة الوسطى أو ما دون. كان تمرده على محيطه الضيّق في البدايات تمرد الأبناء المغبونين المحرومين على الآباء القاصرين العاجزين... وفي محيطه الواسع، صرعه التهديد من الضربة

1- يراجع: رجاء نقّاش - أدباء ومواقف - ص 13 و16، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت - لا تاريخ.

الأولى، فتملّق الوظيفة، واستكان - إلى حدٍ بعيد - بعد أن هدّته حركة التمرد في السودان، وأدّت إلى محاكمته وإحالته إلى الاستيداع فالمعاش. فراح يستجدي وظيفة يتفيأ ظلالها، فكانت له - بعد تأديبه[1] - في دار الكتب!!!

3- وفي الاتجاه الثالث، نجد بعض الأدباء ممّن تابوا وثابوا، منهم

أ- فئة سجنت ونفيت واضطهدت... ثمّ تابت وثابت تحت غطاء دستوري مموّه، فدخلت البلاط وتنعّمت بنعمه، وعوّضت عما فات.

فولي الدين يكن الذي جعل من جريدته (الإستقامة) منبراً لمحاربة الظلم، يسجن وينفى... ثم يلتحق مع إعلان الدستور!!! بخدمة من سجنه ونفاه.

وبقدرة الانقلاب الدستوري وسحره!!! يصبح عبد الحليم حلمي المصري شاعر الملك (أحمد فؤاد)، وقد حكمه وسجنه لقصيدة فيه.

ومحمد سرور الصبّان الذي تولى عدّة مناصب حكومية رفيعة، نُفي وسجن، لينتهي بعد توبته والعفو عنه أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي.

ب- ومنهم فئة تذبذت في مواقفها، فصُبَّ عليها جام غضب المواقف. فأحمد بن محمد الشامي، عندما تاب إلى جلاّديه، وثاب إليهم بمدحهم، تولّى المناصب الرفيعة. وعندما اختار الوقوف إلى جانبهم بعد ثورة 1962، في اليمن، حكمت عليه الثورة - غيابياً - بالإعدام.

4- وفي الاتجاه الرابع نجد أدباء جاهدوا ثم هادنوا، فما هانت عزائمهم ولا ذلّت كراماتهم. وإن لم يؤمن جانبهم، إلاّ أنهم خرجوا من دائرة الخطر على السلطة.

1- بالمعنى السلوكي الأخلاقي.

فالأديب اللبناني - الليبي الأصل - عبد الرحيم قليلات - هاجر واعتقل وهادن ليستقيل أو يُقال من منصبه إثر صدام بينه وبين السلطات الفرنسية.

ونصّب الشيخ مصطفى الغلاييني رئيساً للمجلس الإسلامي في بيروت، وقاضياً شرعيّاً بعد جهاد وسجن ونفي...

5- وفي الاتجاه الخامس، نجد أدباء قد كفتهم عقوبة السجن أو الإقامة الجبرية مؤونة العذاب فاستكانوا، وما مالوا... منهم الليبي أحمد علي الشارف، وكلٌ من السوريّين؛ بدر الدين حامد، وسليمان العيسى، والجزائري محمد العبد محمد علي خليفة، واليمني إبراهيم الحضراتي، والعراقي مهدي البصير.

6- وفي الاتجاه السادس، نجد أدباء موظفين سيموا سوء العذاب، وضيّق عليهم إلى حدّ الاختناق، فما هانوا ولا استكانوا.

فالعراقيون: إبراهيم شكر، عُطلت صحفه، وضُيّق عليه في عمله حتى أخرج لأنه كان من معارضي النظام الحاكم. وسجن بدر شاكر السيّاب أكثر من مرة، ونقل من عمل إلى آخر حتى تمّ فصله، ومات غريباً طريداً مريضاً في الكويت. واضطهد محمد مهدي الجواهري، وأصيب بأخيه، ونُفي وفُصل عن العمل... واعتقل عبد الوهاب البيّاتي، وفصل عن وظيفته، ونُفي أكثر من مرة، وأسقطت عنه جنسيته.

ومنع رئيف خوري - في وقت مبكر - من دخول فلسطين، وفُصل من عمله.

وسُجن اللبناني عمر الزعني مرات عديدة، وأُقيل من عمله.

كما عُزل الليبي أحمد رفيق المهدوي من عمله وهاجر ونُفي ليُتوفى مجاهداً.

ونُفي الجزائري مالك حدّاد إلى أوروبا ليتابع جهاده الفكري.

7- وفي الاتجاه السابع، نجد أدباء موظفين، لم يكن أحدهم في هروبه جباناً ضعيفاً، إنّما كان ثائراً متمرداً عنيفاً، منهم:

أ- فئة أصابها التوفيق خارج مواطنها الأصلية، فخفّف عنها مرّ الهجر.

لقد هجر خير الدين الزّركلي دمشق ليصدر حكم غيابي بإعدامه وحجز أملاكه، فيتولى مناصب رفيعة في الحكم العربي، ثم في المملكة العربية السعودية.

وكذلك كانت الحال مع اللبناني فؤاد الخطيب الذي شارك في الجمعيات السرية، وناهض الأتراك، وحكم عليه بالإعدام....

ب- ومنهم فئة كان توليها المناصب في مواطنها ثمرة جهاد مضنٍ، ودفاع مستميت عمّا اعتقدته.

لقد خرج الليبي إبراهيم الإسطى عمر وجاهد، وأُقيل من عمله، ثمّ أصبح نائباً في البرلمان البرقاوي.

وخليل مردم بك، لم يتولّ المناصب الرفيعة في سوريا، إلاّ بعد أن ترك وظيفته، وقضى طريداً هارباً من غضبة الفرنسيين.

وكذلك، لم يتولّ فارس الخوري حقيبة وزارية، أو رئاسة الوزارة، أو رئاسة البرلمان في سوريا إلاّ بعد سجن ونفي واتهام بالتآمر على الدولة، نظراً لآرائه الجريئة في الحرية والديمقراطية ودفاعه عن شهداء 6 أيّار.

8- أما الاتجاه الثامن - وهو عندي من أسمى الاتجاهات وأرقاها - فنجد فيه أدباء قد باعوا أنفسهم وما يملكون إلى ما يعتقدون.

وخير من يمثل هذا الاتجاه من الأدباء العرب الموظفين الذين سبق وعرضنا لهم، المجاهد الجزائري عبد الحميد بن باديس الذي لم ينفع فيه إغراء ولا تهديد، ولم يثنِ عزمه أذيّة ولا اضطهاد، قاطعه إخوة له، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده...

بالإجمال: لم يستكن الأديب الموظف لما هو سائد، ولم يرضخ للواقع القائم، إنّما بخروجه على ما هو مألوف، لم يجن بنفسه ولنفسه ثمار عذاباته، وقلّ أن تنعم بفرح نضالاته. إنّما كان لمعاصريه وللأجيال اللاّحقة التي ما زالت تتخبّط في يمّ المواطنة والقوميّة والإنسانية... حق استثمار حركته في وجه السباق النووي والتكنولوجي والعولمة... والغلبة للقوة!!!

وللأدب - بمختلف أنواعه وأشكاله - دور لا بدّ أن يؤديه في إطار معركة المصير التي ما زلنا نخوضها، وفي مجابهة المستجدات التي تجابهنا، ولا بدّ أن نجابهها.

الباب الثاني

عبد الحليم الحجّار
الشخصية النموذج من لبنان

الفصل الأول

لمحات تاريخية وسياسية وإدارية

1- لبنان: لمحة تاريخية وسياسية
2- إقليم الخروب وشحيم: لمحة تاريخية وإدارية

على أثر الحرب العالمية الأولى، وانهيار السلطنة العثمانية، تمّ في أول أيلول من سنة 1920، إنشاء دولة لبنان الكبير، كوحدة سياسية قائمة بذاتها تحت الانتداب الفرنسي. وفي سنة 1926 أصبح لبنان في حدوده الحاليّة جمهورية خاضعة للدولة المنتدبة، ليصبح في سنة 1943 دولة مستقلة ذات سيادة، ثمّ عضواً مؤسساً في جامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة سنة 1945.

أمّا قبل الانتداب، فقد كانت جميع الأراضي اللبنانية الحالية تحت السيادة العثمانية. أمّا عبارة « جبل لبنان »، أو الإمارة اللبنانية، التي شكّلت فيما بعد متصرفية « جبل لبنان » فلم تكن واضحة الحدود، إنّما كان جزؤها الأساسي يشمل الإقطاعيات المارونية والدرزية التي اقتُطعت للأمراء. لكن كثيراً ما كان الأمراء المعنيّون والشهابيون يبسطون نفوذهم على المناطق المتاخمة. وكانت الجمهورية اللبنانية تتألف من منطقتين إداريتين؛ واحدة في الشمال تابعة لولاية طرابلس، وثانية في الجنوب تابعة لولاية صيدا. وكان البقاع لولاية دمشق، وكذلك كان لبنان الجنوبي قبل استحداث ولاية صيدا.

وفي سنة 1864، ألغى العثمانيون ولايتي طرابلس وصيدا، وحلّت مكانهما ولاية بيروت، وبقي البقاع جزءاً من ولاية دمشق. (وكانت قد أُنشئت في 1861، بضمان الدول الأوروبية، متصرفية جبل لبنان، بحدود تمتد على وجه التقريب من

أعلى السلسلة الغربية إلى البحر باستثناء مدينة بيروت ومنطقتي طرابلس وصيدا. وبقيت هذه المتصرفية مستقلة عن ولاية بيروت حتى 1915. وكان على رأس متصرفية جبل لبنان، بين 1861 و 1915، متصرّف يعيّنه الباب العالي من بين رعاياه النصارى، بموافقة الدول الكبرى، ويعتبره مسؤولاً أمامه. وكان يشترط في المتصرّف أن لا يكون لبنانياً. وكان يساعد المتصرّف في الحكم مجلس إداري منتخب، وتقوم بحفظ النظام العام فصائل لبنانية من الدرك)[1].

وكوّنت المتصرفية قائمقاميّتان، يفصل بينهما طريق بيروت - دمشق، واحدة جنوبية بقيادة إقطاعي درزي، تولاّها أول الأمر الأمير أحمد أرسلان، وتعزّز اختياره بُعد آل أرسلان - في ذلك الحين - عن النزاع اليزبكي - الجنبلاطي. وأخرى شمالية بقيادة إقطاعي ماروني، تولاّها حيدر أبو اللمع، طمع مشايخ كسروان وشمال لبنان بمنصبه.

وعلى الرغم من تأزم العلاقات المارونية - الدرزية، فقد حافظت فرنسا على صلة الوّد بعدد من زعماء الدروز، لا سيّما اليزبكيين منهم. إلاّ أنّ التحالف البريطاني - الدرزي الذي خرج إلى حيّز الوجود، في 24 أيلول 1842، على ظهر بارجة بريطانية راسية في مياه صيدا، وارتماء الموارنة في أحضان فرنسا قضى على الأمل في إعادة الوحدة بين الموارنة وبين الدروز. فكان نظام القائمقاميتين - بحدّ ذاته - مصدراً للقلق، فقد كرّس الانقسام الطائفي في البلاد.

ما أن تولّى القائمقامان مهامهما الإدارية حتى نشأت المتاعب. ففي كل من القائمقاميتين تشابك بين الطوائف. وإلى جانب الدروز والموارنة طوائف أخرى لا تعترف بزعامة أيّ منهما. فحمي وطيس المناوشات وحوادث الاغتيال والثأر والحرق والنهب... حتى كان نظام شكيب أفندي - وزير الخارجية العثمانية - الذي قضى بأن يكون على رأس كل قائمقامية قائمقام يعيّنه والي صيدا ويقيله، يعاونه - وبرئاسته - مجلس مؤلف من نائب القائمقام، وقاض ومستشار عن كل من الطوائف الخمس: السنة، الموارنة، الدروز، الروم الأرثوذكس

1- كمال الصليبي - تاريخ لبنان الحديث - ط4 - ص 12 - دار النهار للنشر - بيروت 1978.

والروم الكاثوليك. واقتصر على تمثيل الطائفة الشيعية في المجلس بمستشار (وقضى بأن يكون لرؤساء الطوائف المعنية حق تعيين من يملأ المراكز الشاغرة عند الحاجة، بالاتفاق مع القائمقام وأعضاء مجلسه، وبموافقة والي صيدا. وكان على العضو، بعد تعيينه، أن ينصرف بكامل وقته إلى أعمال المجلس، فيتقاضى عن ذلك راتباً شهرياً معيّناً...

وهكذا أنزل نظام شكيب أفندي... ضربة قاسية بمصالح الإقطاع في لبنان. إذ منح المجلسين صلاحيّات كانت من قبل في أيدي الإقطاعيين، فلم يبقَ لهؤلاء في مناطقهم إلاّ النظر في الدعاوى البدائية، وتنفيذ قرارات المجلس المالية... فأصبح القائمقام وأعضاء مجلسه، وقد حلّوا في كل قائمقامية، من حيث السلطة - محل الأمير الحاكم ومشايخ الإقطاع، بمثابة موظفين عامين يعيّنهم والي صيدا رسمياً ويدفع لهم رواتب لقاء خدماتهم)[1].

وإن عاشت الطوائف اللبنانية المتعدّدة جنباً إلى جنب بسلام في العهد الشهابي، تشدّها روابط الولاء المشترك إلى الأمير الحاكم، فأنّ هذه الوحدة كثيراً ما تضعضعت (بسبب الانقسامات العميقة بين مختلف الشيع والطوائف اللبنانية... فقد كانت الاعتبارات السياسية المشتركة، على صعيد الزعامات الإقطاعية، بين مختلف الطوائف وتوحد صفوفها. وقلّما حالت الاختلافات الدينية دون التحالف بين الأمراء والمشايخ الموارنة والملكيين والدروز والشيعة والسنّة. إذ كانوا جميعاً ينتمون إلى النظام السياسي ذاته. إلاّ أن الخلاف والتنافس بين الأمراء والمشايخ الكبار أدّيا في بعض الأحيان إلى قيام حزبيّات إقطاعية اخترقت جدار الخلافات الدينية وتسرّبت إلى أدنى طبقات المجتمع)[2].

وعليه، كان لبنان - في القرن التاسع عشر - تربة خصبة للتدخل الخارجي، من أخصب بلدان الشرق. ذلك أنّ النزاع الإقطاعي والتوتر الطائفي قد أوجدا

1- كمال الصليبي - م. س. ن. ص 106 و 107.

2- م. س. ن. ص 14.

مادة وفيرة للأزمات. ليصبح في عهد بشير الشهابي، وما بعده، أسير تطورات الوضع الجديد بين أشداق التنافس الأوروبي على النفوذ في الشرق.

ومع أنّ نظام المتصرفية قد كان - في الأصل - لصالح نصارى لبنان، وضماناً لاستقلال لبنان الذاتي، إلاّ أنّ ذوي المصالح السياسية من النصارى، قد نقموا على هذا النظام، لأنه قضى بأن يكون المتصرف غير لبناني، فندّدوا بتصغير لبنان، وطالبوا بضم بيروت والبقاع ومنطقتي طرابلس وصيدا إليه. ونادوا بنظرية القومية اللبنانية، ونظرية (لبنان الملجأ)، يشجعهم على ذلك مؤلفون أوروبيون، والفرنسيون منهم بخاصة[1].

وكان من حسن طالع المارونية السياسية، أن أدّى التنافس الأوروبي - لا سيّما البريطاني الفرنسي - على اقتسام تركة تركيا، إلى اتفاقية سايكس - بيكو التي تمّ بموجبها وضع لبنان وسوريا تحت سلطة الانتداب الفرنسي. فلا غرابة - إذن - أن يبتهج بعض النصارى - وبخاصة الموارنة - باحتلال فرنسا لبنان سنة 1918، وأن يحقّق الجنرال هنري غورو[2] في أول أيلول من سنة 1920، مطامحهم بإعلان (دولة لبنان الكبير) وضمّ المناطق التي سبق ذكرها إلى حدوده الحاضرة.

ذلك لا يعني أنّ نظرة المارونية السياسية إلى لبنان، كانت متفقة كل الاتفاق. ففي في مناطق الشمال غيرها في مناطق الجنوب. ففي حين استمرّ الموارنة في المناطق البعيدة عن سلطة المتصرفية «شمال لبنان» في اعتبار لبنان وطناً مسيحياً قبل كل شيء، رأى المتبصّرون منهم - على أثر ما ألمّ بهم في أحداث سنتي 1840 و1860 - أنّ ذلك لا يجدي ما لم يقم تعاون وثيق بين اللبنانيين (مسيحيين ومسلمين)، لا سيّما أن المناطق المُراد ضمها إلى لبنان كانت ذات أغلبية مسلمة. أضف، أن الفئات المسيحية غير المارونية لم تحصر همّها في لبنان وتوسيعه فقط، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فشمل ولاؤها الوطني

1- أمثال الأب هنري لامنس اليسوعي، أستاذ التاريخ في جامعة القديس يوسف في بيروت، حينذاك، وصاحب نظرية (لبنان الملجأ).

2- أوّل مفوّض سامي فرنسي في بيروت.

سوريا كلها. وانضم بعض النافذين من الموارنة[1] إلى الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك في اعتبار سوريا كلها وطناً لهم.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، برزت فكرة القومية العربية[2]، وترسخت، لا سيّما بعد محاولات التتريك التي باشر تنفيذها حزب (الإتحاد والترقّي)، والانقلاب على السلطان عبد الحميد سنة 1908، والتي كان من نتائجها:

1- الجمع بين المسلمين والمسيحيين في الولايات السّورية.

2- ثورة سيد الحجاز، الشريف حسين، في 5 حزيران 1916، على الأتراك، وإعلانه استقلال العرب عن الحكم العثماني.

3- تنصيب نفسه ملكاً على البلاد العربية.

4- دخول ابنه فيصل دمشق، وإقامة حكومة عربية عسكرية باسم الشريف حسين.

5- إنهيار السلطة العثمانية في بيروت، وتسلّم عمر الداعوق الحكم، وإعلانه قيام حكومة عربية.

6- قدوم قوة عربية رمزية لاحتلال بيروت، ثمّ بعبدا ورفع العلم العربي هناك.

7- دعوة مجلس إدارة متصرفية جبل لبنان في بعبدا إلى الانعقاد[3]، وترئيس حبيب باشا السعد[4] الحكومة اللبنانية باسم الملك حسين.

تحمّس القوميون العرب - بمن فيهم بعض المسيحيين - لثورة الشريف حسين، وسرت الإشاعات بقيام إمبراطورية عربية تضم: الجزيرة العربية، والولايات السّورية، والعراق. فكان أن هبّ أغلب المسيحيين، وفي مقدمهم موارنة لبنان، يعلنون رفضهم الانضمام إلى أيّة دولة عربية... وبدأ الصراع والتجاذب -

---

1- منهم: المعلم بطرس البستاني، صاحب (نفير سوريّا).

2- لا نغالي إذا قلنا: إنّ فكرة القومية العربية هي في الأصل ابتكار لبناني مسيحي محض.

3- كان قد حلّ سنة 1915.

4- أحد وجهاء الموارنة، ورئيس المجلس قبل حلّه.

في لبنان - بين القوميين العرب، أنصار ثورة الشريف، بتأييد من بريطانيا، وبين القوميين اللبنانيين الذين راحوا يلتمسون من فرنسا - حاميتهم التقليدية - ضمان استقلال لبنان.

لم تكن فرنسا بحاجة إلى بطاقة دعوة لحماية مصالحها في لبنان وسوريا، فقبل إعلان ثورة الشريف حسين، كانت قد عُقدت اتفاقية سايكس - بيكو (نيسان - أيار 1916) التي تضمن لفرنسا مركزاً ممتازاً في سوريا بعد الحرب. وقد امتعضت، كما امتعض اللبنانيون المسيحيون، لاحتلال القوى العربية بيروت وبعبدا. وخلال أيام معدودة (في 7 تشرين الأول) نزلت بيروت وحدات من الجيش الفرنسي تسلّمت السلطة، وأنزلت العلم العربي عن المباني العامة. وأبقت على المجلس الإداري في بعبدا كهيئة وطنية حاكمة في جبل لبنان. وفي هذه الأثناء، رست في ميناء بيروت بارجة حربية فرنسية على متنها المحامي الماروني أميل إدّه[1]، مستشاراً للمفوّض السامي الفرنسي جورج بيكو، وقد ناب عنه مساعده روبير كولوندر، الذي (صرّح على الملأ بأن فرنسا إنّما جاءت لبنان لتحمي أصدقاءها الموارنة وتضمن مصالحهم)[2].

وفي مؤتمر السلام الذي انعقد في باريس سنة 1919، حين أيّدت بعض الأوساط الأميركية والبريطانية مطالب الملك فيصل العربية، ألحّت الوفود المارونية اللبنانية على استقلال لبنان، وتوسيع حدوده بحماية فرنسا. وإن اتّخذ مجلس إدارة جبل لبنان - في 5 كانون الأول 1918 - بإيعاز من جورج بيكو، قراراً بتوسيع نطاق جبل لبنان، وألّف من بين أعضائه وفداً - برئاسة داود عمّون - إلى مؤتمر الصلح في باريس (13 شباط 1919)، وطلب مساعدة فرنسا في تأييد استقلاله، ودعم تطويره، ومعاونة الإدارة المحلية. إلاّ أنه - بالمطلق - لم يطلب الانتداب الفرنسي، إنّما طلب الاستقلال التام، وإدارة شؤون البلاد بواسطة رجال من أهلها، مع حماية فرنسية دولية لهذا الاستقلال الناجز على مبدأ العدالة والحرية والمساواة... وهذا ما يتعارض مع المشروع الفرنسي الرّامي

1- أحد كبار الغلاة من دعاة الاستقلال اللبناني.

2- كمال الصليبي - م. س. ن. ص 207.

إلى السيطرة التامة على مقدرات البلاد. لذا أوعزت إلى البطريرك الماروني الياس الحويك التحدث بشأن المطالب اللبنانية في مؤتمر الصلح. نزل غبطته على رغبة الفرنسيين، وأبحر من جونية - في أواخر صيف 1919 - على متن مدرعة حربية، مطالباً بالانتداب الفرنسي على لبنان المتميّز والمتمايز - عرقياً وثقافياً - عن أيّة دولة عربية قد تنشأ في سوريا!![1].

ولمّا نجحت فرنسا، وهزمت الجيش العربي في ميسلون (22 تموز 1920)، عملت سريعاً على إعادة تنظيم سوريا ولبنان، فأصدر الجنرال غورو في 31 آب 1920، مرسوماً بضم بيروت والبقاع وطرابلس وصيدا إلى متصرفية جبل لبنان، وفي اليوم التالي أعلن قيام «دولة لبنان الكبير». وشهد عام 1926 ولادة الجمهورية اللبنانية - تحت الوصاية الفرنسية - وتحوّل المجلس الاستشاري التمثيلي الذي كان يعاون الحاكم الفرنسي، إلى أوّل مجلس نيابي[2]، توالى على رئاسته حبيب باشا السعد، ونعوم لبكي، وإميل أدّه.

أنّ توسيع متصرفية جبل لبنان، وإعلان «دولة لبنان الكبير»، أثار اعتراض الأكثرية المسلمة في المناطق المضمومة ونقمتها، فرفضت قبوله كترتيب نهائي. إذ رأى المسلمون - وأهل السنّة منهم بخاصة - أنّ انضمامهم إلى دولة يسيطر عليها المسيحيون سيؤدي إلى فصلهم فصلاً نهائياً وتاماً عن العالم العربي - الإسلامي، المحيط الطبيعي الذي ينتمون إليه. فهبّوا في المناطق المضمومة

1- د. محمد مراد - العلاقات اللبنانية السورية - ص 39 وما بعدها - دار الرشيد للعلوم - بيروت 1993.

2- ما بين 1920، 1926 تعاقب على حكم لبنان أربعة حكّام فرنسيين، عينهم المفوّض السامي، هم: جورج ترابو George Trabeau (1920-1923)، وبريفا أوبوار P. Aubouard (1923-1924)، والجنرال فاندنبرغ Wendenberg (1924-1925)، وليون كايلا Léon Caila (1925-1926). وكان يساعد الحاكم مجلس استشاري من سبعة عشر عضواً لتمثيل الطوائف اللبنانية، عيّنهم الجنرال غورو Gouraud. ثم تحوّل في نيسان 1922 إلى مجلس تمثيلي انتخب أعضاؤه بالاقتراع الشعبي، وتوزعوا حسب الطوائف كما في المجلس السابق. يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 209، ود. محمد مراد - م. س. ن. ص 181، ود. علي شعيب - تاريخ لبنان الحديث من الاحتلال إلى الجلاء - ط 2 - ص 28 و 32 - دار الفارابي - بيروت 1994.

يعترضون، ويقاومون، ويطالبون بإلحاق مناطقهم بسوريا مؤيدين من الروم الأرثوذكس وغيرهم من المسيحيين اللبنانيين الذين استهوتهم القومية العربية، ومن الدروز، خصوصاً في أيام الثورة السورية، إذ كان دروز حوران يحاربون الفرنسيين عبر الحدود اللبنانية.

وظلت المقاومة الإسلامية على حالها حتى نهاية الانتداب. ورفض المسلمون المشاركة في تدبير الشؤون اللبنانية، خوفاً من تكريس حدود لبنان الكبير، وحفاظاً على المشاعر الوحدوية مع سوريا. وإن لم يسفر هذا الموقف عن نتيجة، إلاّ أنه أقلق الانتداب، وأوجد عند المسيحيين شعوراً بعدم الاطمئنان. وما ترشيح الفرنسيين شارل دبّاس (أرثوذكسي) لرئاسة الجمهورية سنة 1926 إلاّ بادرة استهدفت في المقام الأوّل كسر حدّة الطائفية في البلاد، عدا عن كونه محبّاً لفرنسا، ومن أعضاء (لجنة باريس)، ذات الميول الفرنسية، والمقاومة للدعوة إلى الوحدة العربية.

وما أن تمّ انتخاب شارل دبّاس رئيساً للجمهورية حتى أوكل تأليف الوزارة اللبنانية الأولى إلى أوغست باشا أديب[1]. وحتّى عام 1930، تناوب رئاسة الحكومة مع ثلاثة موارنة آخرين، هم: حبيب باشا السعد، وإميل إدّه والشيخ بشارة الخوري.

وسرعان ما برز بشارة الخوري كمنافس لإميل أدّه، منذ تأليف وزارته الأولى سنة 1927، واستمرّت هذه المنافسة على السياسة اللبنانية حتى مطلع عهد الاستقلال[2].وفي كل خير لفرنسا! فإميل إدّه الذي كان في تفكيره السياسي وليد عهد المتصرفية، لم يكن واقعياً حين رأى إلى لبنان كوطن قومي مسيحي وموّسع لم يشكّل فيه المسيحيون أكثرية، كما نفّرت صراحته المتناهية - في استعداء العروبة، وتبيان خطرها على لبنان - اللبنانيين المسلمين. في حين أن بشارة الخوري لم يكن أقل تمسكاً باستقلال لبنان من إدّه، ولم يكن من القوميين العرب، إنّما رأى من الحكمة أن يحاول جهده للوصول مع القومية العربية إلى

1- الأمين العام الماروني للحكام الفرنسيين الذين تعاقبوا على حكم دولة لبنان الكبير.

2- يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 214 وما بعدها.

اتفاق. فالوجود الإسلامي في لبنان يفرض ضرورة إيجاد تسوية، والواقعية تفرض مشاركة سياسية (إسلامية - مسيحية) في تسيير شؤون البلاد.

ذلك الخلاف المبدئي، الذي لم يكن يتجاوز في بداياته المنافسة الشخصية بين الرجلين (إدّه والخوري)، اتخذ شكله الواضح بعد سنة 1932. ذلك أنّ الصراع بين الزعيمين أتاح لشارل دبّاس أن يوطّد علاقته ببعض الوجهاء المسلمين، واستطاع أن يشرك بعضهم في إدارة شؤون الدولة، من أمثال الشيخ محمد الجسر[1] الذي أصاب نجاحاً، وأحرز سلطة نافذة أغريا غيره من المسلمين السنيين بالرغم من الانتقاد الذي وجّهه إليه المسلمون. واستمرت أكثرية المسلمين في معارضة الأوضاع الراهنة، والمطالبة بالاتحاد مع سوريا، أو الدعوة إلى وحدة عربية شاملة، من أمثال: عبد الحميد كرامي، وسليم سلام، وخير الدين الأحدب ورياض الصلح...

لم تمنع عروبة خير الدين الأحدب ورياض الصلح، ودعوتهما إلى وحدة وطنية عربية شاملة، من الاهتمام بالسياسة اللبنانية، إلاّ أنهما في حينه آثرا عدم الاشتراك في الحكم. فبقي الشيخ الجسر ممثّلا للمسلمين في الحكومة دون منافس حتى سنة 1932. ولاقى اهتمام العروبيين بالسياسة الداخلية اللبنانية ارتياحاً عند السلطة الفرنسية.

ففي تلك الأثناء، كان أن أُعيد (سنة 1929) انتخاب شارل دبّاس رئيساً للجمهورية. وتطلّع كلٌ من إميل إدّه وبشارة الخوري إلى خلافته سنة 1932. إلاّ أن تولّي إدّه رئاسة الوزراء (1929 - 1930) قد نفّر المسلمين منه، إذ تحدّى القومية العربية، وشجّع فكرة (الفينيقية)، وعمل على تعزيز نفوذ البعثات الكاثوليكية، وأوّل ما بادر إليه فور تشكيل الحكومة إغلاق (111) مدرسة حكومية، ممّا زاد من نقمة الجانب الإسلامي الذي اعتبر نفسه أكثر المتضررين من هذا الإجراء. فبات الخوري أقوى المرشحين السياسيين من الموارنة بفضل علاقاته الحسنة مع المسلمين. لذا استغلّ إميل إدّه الوضع، ودعم ترشيح الشيخ

1- رئيس مجلس الشيوخ، ثمّ رئيس مجلس النواب من سنة 1926 إلى سنة 1932.

محمد الجسر لرئاسة الجمهورية سنة 1932، ممّا أثار - في البدء - اعتراض البطريرك الماروني أنطوان عريضة - خصم بشارة الخوري السياسي - لكن سرعان ما عاد عن اعتراضه عندما علم أنّ ترشيح الجسر ما هو إلاّ مناورة. ثمّ أنّ المفوضية لم تكن مستعدة لقبول مسلم رئيساً للبنان، إذ رأت - والجسر نفسه لم يجهل ذلك - أنّ لبنان «ليس منفصلاً عن باقي الدول العربية إلاّ لأنّ له طابعاً مسيحياً دولياً معروفاً، مما يقضي بأن يكون رئيس الجمهورية ممهوراً بهذا الطابع[1].

بناءً على ما تقدم، وأمام إصرار الشيخ محمد الجسر على ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، أقدم المفوّض السامي الفرنسي هنري بونسو (1926 - 1933)، في 9 أيّار 1932، على تعليق العمل بالدستور، وطلب من شارل دبّاس أن يبقى في منصبه كرئيس للجمهورية بالتعيين. فأحدث هذا الإجراء استياءً عاماً، زادت على أثره نقمة المسلمين على الوصاية الفرنسية، وهبّ المسيحيون من أنصار بشارة الخوري للتنديد بهذا الطغيان الفرنسي، فكان أول لقاء وطني (إسلامي - مسيحي) في لبنان الكبير.

وعند استقالة شارل دبّاس، في 2 كانون الثاني 1933، عُيّن بريفا - أوبوار[2] رئيساً للدولة، يعاونه مجلس المديرين برئاسة عبدالله بيهم[3] كأمين سرّ للدولة. وحتى 31 كانون الثاني حين تمّ تعيين حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية، كان قد شارف بريفا - أوبوار على انتخاب مجلس جديد للنوّاب من خمسة وعشرين عضواً، سبعة منهم معيّنون، بينهم: الخوري، وإدّه والدبّاس.

وفي فترة الحكم الدستوري، جرت - على الصعيد الداخلي - إصلاحات في النظم الإدارية والمالية. وفي أوّل شباط 1934، فرض المفوّض السامي - دون الرجوع إلى مجلس النواب - قانون الإجراء المدني. وفي السنة ذاتها، تمّ انتخاب

1- اسكندر الرياشي - قبل وبعد 1918 - 1941 - ص 111 - بيروت (بدون تاريخ).
ويراجع: د. علي عبد المنعم شعيب - م.س.ن. ص 48، و كمال الصليبي - م. س. ن. ص 221 و 222.

2- أحد أركان المفوضية الفرنسية، وحاكم لبنان الكبير سابقاً.

3- أحد وجهاء المسلمين في بيروت.

مجلس نيابي جديد (لم تنبثق عنه حكومة دستورية، بل بقيت الإدارة في يد أمين سرّ الدولة، وذلك حتى كانون الثاني 1937. وفي هذه الأثناء، كان الصراع بين إميل إدّه وبشارة الخوري قد عاد إلى سابق عهده. فطالب أنصار الخوري بعودة الدستور، وسمّوا أنفسهم «الكتلة الدستورية». وإذ اقتربت نهاية المدة الثانية من رئاسة حبيب السعد، بلغ الصراع بين الدستوريين والإدّيين ذروته...)[1]. ودعا المفوّض السامي مجلس النواب إلى انتخاب رئيس للجمهورية لمدة ثلاث سنوات غير قابلة للتجديد.

وإن كان بشارة الخوري - من وجهة النظر الفرنسية - هو المرشح الأصلح لرئاسة الجمهورية، إلاّ أنّ مصداقيتهم والعهود القديمة التي ربطتهم بإميل إدّه، دفعت - في 20 كانون الثاني 1936 - بالمفوّض السامي الفرنسي، الكونت داميان دومارتيل (1933 - 1939)، إلى التدخل في الانتخابات والعمل على فوز إدّه بفارق صوت واحد فقط، وهذا ما أضعفه، وأجبره على الاسترماء في أحضان الفرنسيين والاتكال عليهم لممارسة سلطته.

شهدت رئاسة إميل إدّه للجمهورية أحداثاً وتطورات، كان من أبرزها:

1- صبّه النار على الزيت، وزيادته الطين بلّة، فقد استبدل عبدالله بيهم - أمين سرّ الدولة - بأيوب ثابت[2]. وكان منصب أمانة سر الدولة - منذ سنة 1932 - من نصيب وجيه مسلم.

2- اشتداد المعارضة، بزعامة بشارة الخوري الذي واصل مطالبته بإعادة العمل بالدستور. وإلحاحه على إبرام معاهدة مع فرنسا تحلّ محل نظام الانتداب. لا سيّما أنّ بريطانيا كانت قد عقدت - في سنة 1927 - مثل هذه المعاهدة مع العراق، أدّت إلى إدخاله في عضوية جامعة الأمم، كدولة مستقلة.

1- كمال الصليبي - م. س. ن. ص 224 و 225. ويراجع: د. علي عبد المنعم شعيب - م.س.ن. ص 60 وما بعدها.

2- من غلاة أنصار إدّه.

3- قبول فرنسا - في أول آذار 1936 - إجراء مفاوضات مع السوريين، شجع الكتلة الدستورية على المطالبة بإجراء مفاوضات مماثلة بين لبنان وفرنسا. ووجدت الاضطرابات التي هزت سوريا - في كانون الثاني وشباط 1936 - صداها في الشارع الإسلامي اللبناني فقامت المظاهرات في بيروت وطرابلس وصيدا...

4- تداعى دعاة الوحدة، برئاسة سليم سلام، في آذار 1936، إلى عقد (مؤتمر الساحل) الثاني[1]. وراحوا يطالبون بضمّ المناطق الإسلامية إلى سوريا. بحضور وتأييد (الحزب السوري القومي)[2] الذي لم يكتف بضمّ المناطق الإسلامية فقط، بل ندّد بالانفصالية الإقليمية، وشدّد على وحدة الأمة السورية.

5- في خِضم هذه الهجمة على الوحدة السورية، أو على الوحدة العربية الشاملة، تداعى بعض الزعماء المسيحيين ممن لم يرقهم ذلك، إلى ضرورة العمل الحاسم. فأسّس فريق من الشباب المسيحي على رأسهم الشيخ بيار الجميّل - في تشرين الثاني 1936 - منظمّة «الكتائب اللبنانية» التي راحت تدعو إلى التمسك بالكيان اللبناني الراهن. وفي أوائل سنة 1937، تأسّست منظمّة «النجّادة» بتشجيع من المجلس الاستشاري الإسلامي[3].

على العموم، لقد تميّزت الفترة الأولى من رئاسة إميل إدّه للجمهورية اللبنانية بالغليان الطائفي، والفورة الحزبيّة، والتوترات الحادة...[4].

1- كان مؤتمر الساحل الأول سنة 1933.

2- هو منظمة سياسية سرية أسّسها أنطون سعادة سنة 1932، واكتشفت السلطات المنتدبة وجودها سنة 1935. يراجع: د. علي عبد المنعم شعيب - م.س.ن. ص 89 وما بعدها.

3- كان هذا المجلس قد أنشئ لتنسيق مطالب الطوائف الإسلامية في البلاد. يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 227 و228، ود. محمد مراد - م. س. ن. ص 348 و 349، ود. علي شعيب - م.س.ن. ص 67 وما بعدها.

4- يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 225 وما بعدها.

ما بين سنتي 1936 - 1939، شهدت الساحة اللبنانية، متأثرة بالأوضاع الإقليمية والعالمية، تطوّرات كانت ذات أثر في مسار الحركة السياسية. ففي 17 تشرين الثاني 1936، أبرم المجلس النيابي معاهدة مشروطة مع فرنسا، قضت أن يُضمّ لبنان إلى عضوية «جامعة الأمم» - كدولة مستقلة - بعد فترة تحضيرية لا تزيد على ثلاث سنوات، على أن تتمتع فرنسا في لبنان بامتيازات في النواحي: العسكرية والمالية والدبلوماسية وغيرها. إلاّ أنّ نشوب الحرب العالمية الثانية، قد أجّل وضع المعاهدة موضع التنفيذ إلى أجل غير مسمّى. إنّما في هذه الأثناء، أُتيح للبنان أن ينعم بحياة دستورية، ففي 4 كانون الثاني 1937، أعلن دومارتيل عودة الحياة الدستورية التامة إلى البلاد. وفي اليوم ذاته، دعا رئيس الجمهورية إميل إدّه - صاحب نظرية الوطن القومي المسيحي - خير الدين الأحدب الذي كان في ما مضى من أقطاب القومية العربية في لبنان، دعاه إلى تأليف حكومة[1]. غير أنّ غبريال بيو[2] قد حلّ، في 21 أيلول 1939، مجلس النواب، وعلّق العمل بالدستور، وعيّن عبدالله بيهم أمين سرّ للدولة، وثبّت إميل إدّه رئيساً للجمهورية، ورئيساً للدولة بالتعيين.

كان على إدّه، والحال على ما هي عليه، أن يواجه العراقيل السياسية الكثيرة التي وضعها في طريقه معارضوه لا سيّما بشارة الخوري. وفي ظلّ تقليل المفوّض السامي من شأنه، والحدّ من سلطته، أقلع إدّه آخر الأمر عن المجيء إلى مكتبه في مقّر الحكومة، وتدبّر تسيير شؤون البلاد اليسيرة من بيته.

أمل بيو من ذلك الإجراء، أن يوطّد الاستقرار في لبنان. إلاّ أنّ ظروف الحرب لم تكن لتتيحه. ففي حزيران 1940، احتلت ألمانيا فرنسا، ونادى الجنرال شارل ديغول - من لندن - بمتابعة النضال، وتألّفت حكومة (فرنسا الحرة) في المنفى، ولم يكن لها حينئذٍ موطئ قدم في البلدان الخاضعة للانتداب الفرنسي، بل كانت حكومة فيشي هي صاحبة السلطة والشأن.

1- منذ هذا التاريخ تكرّس هذا المنصب في لبنان للمسلمين السنيين. يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 230، ود. علي شعيب - م.س.ن. ص 134.

2- المفوّض السامي الفرنسي الذي خلف دومارتيل De Martel سنة 1939.

وفي تلك الأثناء، وبسبب ظروف الحرب، قلّت المواد الغذائية في البلاد، وتخوّف الناس المجاعة، واضطرب حبل الأمن، وتأزمت الحالة السياسية، فعجزت حكومة إدّه عن وضع الحلول، فاستقّل أخصامها واقع الحال، وشجعوا انتشار الشكوى حتى اضطر إدّه إلى الاستقالة من رئاسة الجمهورية، كما اضطر بيهم إلى الاستقالة من أمانة سرّ الدولة. وعلى الأثر - في 9 نيسان 1941 - أقدم الجنرال هنري دانتز[1] على تعيين ألفرد نقّاش رئيساً للدولة يعاونه مجلس مديرين برئاسة أحمد الداعوق.

أنّ تدبير الجنرال دانتز السابق الذكر، لم يطل أجله. فما أن شرعت قوات بريطانيا وفرنسا الحرّة - في 8 حزيران - بغزو سوريا ولبنان، حتّى ألقت طائرات الحلفاء آلاف المناشير التي تعلن باسم فرنسا الحرة الاستقلال الكامل للسوريين واللبنانيين، موقّعة بإمضاء الجنرال كاترو المندوب السامي العام[2]، ممثل الجنرال ديغول في القاهرة.

في 26 تشرين الثاني من سنة 1941، أعلن الجنرال كاترو استقلال لبنان رسمياً. إلاّ أنّ واقع الحال، من الناحية السياسية، بقي كما كان عليه من قبل، دون أيّ تغيير جذري. إذ أقدم في أول كانون الأول على تعيين ألفرد نقّاش رئيساً للجمهورية، وتألّفت حكومة برئاسة أحمد الداعوق، ما لبثت أن استقالت في أوائل صيف 1942. فتألفت وزارة جديدة برئاسة سامي الصلح. (وفي هذه الأثناء كانت بريطانيا قد اعترفت باستقلال سوريا ولبنان فور إعلانه)[3]. فأحرج هذا الاعتراف البريطاني السريع موقف السلطات الفرنسية. ولمّا اشتد التوتر بين بريطانيا وفرنسا، بسبب ذلك، انقسم اللبنانيون؛ فقسم كبير من المسيحيين، - لا سيّما الموارنة - بزعامة إميل إدّه، كان في جانب فرنسا. أما بريطانيا فكان

1- المفوّض السامي الفرنسي الذي خلف غبريال بيو Gabreil Puaux، في سوريا ولبنان من قِبل حكومة فيشي Vichy.

2- لقب اتخذه لنفسه بدلاً من المفوّض السامي.

3- كمال الصليبي - م. س. ن. ص 233، ود. علي شعيب - م.س.ن. ص 162.

مؤيدوها من المسلمين، عموماً، ومن القوميين العرب، بالإضافة إلى أنصار «الكتلة الدستورية» من المسيحيين.

وما أن استؤنفت الحياة السياسية في لبنان، سنة 1942، وتجدّد نشاط الداعين إلى الوحدة العربية، حتى عاد إميل إدّه إلى ميدان السياسة ونظّم أنصاره في «الكتلة الوطنية» التي كان لها تحفّظاتها في شأن استقلال لبنان التام، مؤثرة الحفاظ على بعض الصلات السياسية بفرنسا، مخافة الذوبان في دولة عربية كبرى[1]. إزاء هذا الموقف، أصرّت (الكتلة الدستورية) على استقلال لبنان استقلالاً تاماً، غير مشروط، كدولة ذات شخصية مميّزة في مجموعة الدول العربية. وقد ساعدها على اتخاذ مثل هذا الموقف تحوّل في وجهة النظر عند بعض الوحدويين المسلمين من الذين نظروا إلى لبنان عربي له كيانه المستقل، ولو إلى حين[2]. وعلى الرغم من بعض التحفّظات[3]، تلقّفت (الكتلة الدستورية) هذا المخرج السياسي الذي صاغه الأخوان كاظم وتقي الدين الصلح، ومن قبلهما رياض الصلح، فتبنته على الفور. وفي أواخر ربيع سنة 1942، كان التفاهم بين الدستوريين والزعماء المسلمين على قيام (ميثاق وطني) ما لبث أن التفّت حوله مختلف الفئات اللبنانية، وبملء الثقة أعلن بشارة الخوري، في 3 حزيران، من مصر، سياسة كتلته، وقد جاء فيها: «أنّ لبنان يريد استقلاله التام ضمن حدوده الحاضرة، وأنّنا نريد التعاون مع الدول العربية إلى أقصى حدّ على هذا الأساس»[4].

1- يراجع: د. علي عبد المنعم شعيب - م.س.ن. ص 57 وما بعدها.

2- قال هؤلاء: إنّ الشعب اللبناني جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، إلاّ أنّ للبنان خصائص مميزة تستدعي، إلى حين على الأقل، استقلاله التام، يراجع: د. علي عبد المنعم شعيب - م.س.ن. ص 133، و كمال الصليبي - م. س. ن. ص 234.

3- لم يقبل أعضاء (الكتلة الدستورية) أن يكون استقلال لبنان تدبيراً عابراً من حيث المبدأ. يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 233 وما بعدها، ود. محمد مراد - م. س. ن. ص 346 و ما بعدها.

4- بشارة الخوري - حقائق لبنانية - ج 1، ص 245 - حريصا، لبنان 1960، ويراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 235، ود. علي شعيب - م.س.ن. ص 177.

أسهمت إجراءات الانتداب الفرنسي في حركة التقارب المسيحي - الإسلامي، حتى أنّ صداها بدأ يتردد في الأوساط التي عُرفت بميولها لفرنسا[1]. كما شهدت مرحلة ما بعد المعاهدة اللبنانية - الفرنسية تحوّلات هامة في مواقف القوى الإسلامية باتجاه «اللّبننة»، وفي مواقف القوى المسيحية باتجاه سوريا والعروبة، بعيداً عن الاستتباع للفرنسي. كما أسهمت التطوّرات التي رافقت السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية في توفير جملة من الظروف الموضوعية التي كانت تعمل لصالح التيار الاستقلالي، ممّا دفع بفرنسا إلى اللّعب على أوتار المسألة الطائفية، والتهويل بالمخاطر التي تنتظر المسيحيين إن هم ابتعدوا عن فرنسا، وتحولوا نحو سوريا والبلاد العربية. فعملت على عرقلة المسيرة الوفاقية الإسلامية - المسيحية، وأقدمت على تعيين الدكتور أيوب ثابت رئيساً للدولة والحكومة في آن واحد.

وتحت تأثير الضغوط العربية والبريطانية، اضطر المفوّض السامي الجنرال هللو Hello إلى إقالة الدكتور ثابت، وتعيين بترو طراد رئيساً للدولة لفترة انتقالية تمّ خلالها التحضير لانتخابات نيابية[2]، حملت - فيما بعد - إلى الندوة البرلمانية العناصر البارزة من القيادات الإسلامية، وقوائم الكتلة الدستورية التي ما لبثت أن انتخبت - في 21 أيلول - الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية بأكثرية ساحقة.

(وتنفيذاً لما التزم به الخوري من تعهدات أمام السوريين والقيادات الإسلامية في لبنان بصدد تأمين مشاركة متوازنة في السلطة، فقد عهد إلى رياض الصلح بتولّي أول حكومة استقلالية، فكلفه مهمة تشكيلها في 25 أيلول 1943)[3].

1- يراجع: د. محمد مراد - م. س. ن. ص 357 وما بعدها. وكمال الصليبي - م. س. ن. ص 235، و 236.

2- د. محمد مراد - م. س. ن. ص 443 وما بعدها.

3- م. س. ن. ص 466.

وفي السابع من تشرين الأول، ألقى رياض الصلح بيانه الوزاري، الذي تضمّن عدّة بنود، منها: إرساء قواعد الاستقلال الكامل للبنان، والتعهد بتحرير الدستور من قيود الانتداب، والتعاون إلى أقصى حدّ مع سوريا والبلاد العربية في النطاق الذي لا يتعارض مع استقلال لبنان وسيادته الوطنية... ممّا استدعى (استنكار اللجنة الوطنية لفرنسا الحرة) المقيمة في الجزائر التي أنكرت على اللبنانيين الحق في تعديل الدستور، فبدأت مؤشرات المواجهة. إذ عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة (في 5 تشرين الثاني 1943) للرد على بيان الجزائر فور صدوره، وقد أكدّ فيه حقه في تعديل الدستور، وشرع في إحالة مشروع التعديل إلى مجلس النوّاب الذي أقره في 8 تشرين الثاني، ووقعه رئيس الجمهورية على الفور على أن ينشر في الجريدة الرسمية صباح اليوم التالي[1].

كان من المتوقع أن يصطدم هذا التعديل الاستقلالي بالرفض الفرنسي الذي أخفقت مناوراته السياسية، فعمد إلى ردّات فعل اتسمت بالشدّة، إذ أقدم الجنرال هللو (في 10 تشرين الثاني) على إصدار قرارين؛ قضى الأول بإلغاء جميع التعديلات التي أقرّها مجلس النوّاب، وعطّل الحياة الدستورية بحلّ هذا المجلس. وقضى الثاني بتعيين إميل إدّه رئيساً للدولة والوزارة مع تخويله صلاحيّات إصدار مراسيم لها قوة القانون. كما قامت قوات الأمن الفرنسية باعتقال معظم رجالات الدولة وأودعتهم السجن في قلعة راشيّا[2].

أثارت تلك الخطوة التعسفية التي أقدمت عليها قوات الانتداب حفيظة اللبنانيين، فهبّوا على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم للدفاع عن قدسية الاستقلال. ونسيت الأحزاب السياسية، كما نسيت (الكتائب) و(النجّادة) خلافاتهما القديمة. فقامت التظاهرات، وقامت حكومة بشامون[3]، وتابع

1- يراجع: د. علي عبد المنعم شعيب - م.س.ن. ص 213، و كمال الصليبي - م. س. ن. ص 237.

2- المعتقلون هم: رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، ورئيس الحكومة رياض الصلح، وكلّ من الوزراء: عادل عسيران، وسليم تقلا وكميل شمعون والنائب عبد الحميد كرامي.

3- بقيادة حبيب أبي شهلا ومجيد أرسلان، الوزيرين الناجيين من الاعتقال. يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 237، ود. علي شعيب - م.س.ن. ص 214.

مجلس النوّاب المنحلّ جلساته واتخذ جملة قرارات هامة، منها: إلغاء العلم القديم واستبداله بعلم جديد يرمز إلى استقلال لبنان التام عن فرنسا.

أمام هذا المأزق، اضّطر الفرنسيون إلى تغيير سياستهم. وعملوا على تهدئة الخواطر، وفي 17 تشرين الثاني، وصل كاترو إلى بيروت، فأقال على الفور هللو من منصبه، وفي 22 تشرين الثاني، أفرج عن سائر المعتقلين في راشيّا، ليصبح استقلال لبنان، بعد هذا التاريخ، حقيقة واقعة، راحت تستكمل مقوّماتها سنة بعد سنة، فما جاء عام 1945 حتى كان لبنان يتمتّع بمعظم الصلاحيات التي تتمتّع بها الدول ذات السيادة التامة، حتى كان جلاء أخر جندي فرنسي عن الأراضي اللبنانية في 31 كانون الأول سنة 1946[1].

خلاصة القول: أنّ التجاذبات السياسية في تاريخ لبنان الحديث التي أنهكته - وما زالت - كانت - منذ أن كانت - تجاذبات بين معادلات متقابلة متنافرة: التخلّي عن فرنسا (الأم الحنون)، مقابل التخلّي عن الوحدة السورية أو العربية الشاملة. أو استقلال لبنان التام، مقابل تأكيد التعاون البعيد المدى مع سوريا وسائر الدول العربية. بتعبير آخر، لعلّ لبنان بتكوينه الحالي نظريّة توافقية، هي وليدة نظريتين متنازعتين: القومية اللبنانية (وطن قومي مسيحي)، والقومية العربية (ذات الأكثرية المسلمة).

1- يراجع: كمال الصليبي - م. س. ن. ص 236 وما بعدها، ود. محمد مراد - م. س. ن. ص 467 وما بعدها.

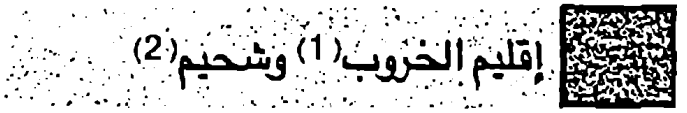

لمحة سياسية وإدارية:

أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، أي في عهدي المتصرفية والانتداب، حلّ الصراع اليزبكي - الجنبلاطي محلّ الصراع اليمني - القيسي في جبل لبنان، لا سيّما في القائمقامية الجنوبية (الدرزية) منه.

إنعكس الصراع الدرزي (اليزبكي - الجنبلاطي) في الشوف على إقليم الخروب بشكل عام، وتمركز في شحيم بشكل خاص.

ولمّا تولّى علي أفندي أبو خزعل الحجّار[3] زعامة اليزبكيين في شحيم، انحاز آل الحجار، وآل الحاج شحاده، وآل يونس وأتباعهم إلى اليزبكية. كما انحاز آل الخطيب[4]، وآل شعبان، وآل أبي عبدالله وأتباعهم إلى

1- منطقة من مناطق قضاء الشوف - لبنان - تنحصر، ساحلاً، بين نهري الدامور والأولي.

2- أكبر بلدات إقليم الخروب.

3- العضو المسلم السني في مجلس محاكمة الشوف الذي أنشأه داود باشا متصرّف جبل لبنان.

4- آخر العائلات التي سكنت شحيم.

الجنبلاطية[1]. ليتحوّل الصراع (الزعامة)، من بعد إلى صراع إقليمي (خطيبي - حجّاري) ينسحب على كافة أنحاء إقليم الخروب.

والواقع: أنّ هاتين العائلتين الكريمتين، قد لعبتا دوراً سياسياً مهمّاً وبارزاً في العصر الحديث، ليس على الصعيد المحلي فحسب، إنمّا على الصعيدين اللبناني والعربي كذلك. وقد نبغ فيهما رجال ما زالت بصماتهم ذات أثر منذ عهد العثمانيين (لا سيّما عهد المتصرفية) حتى يومنا المعاصر. فمنهم - على سبيل المثال لا الحصر - في الساحة اللبنانية:[2]

الشيخ يوسف أفندي الخطيب، ناظر الأوقاف الإسلامية في إقليم الخروب، وعضو محكمة الاستئناف في جبل لبنان.

الشيخ حسن أفندي الخطيب، عضو محكمة الشوف.

الشيخ أحمد أفندي الخطيب، إمام طابور في جيش المتصرّف داود باشا، ومستشار قائمقامية لبنان الجنوبي، وعضو محكمة استئناف الحقوق في بعبدا.

الشيخ إبراهيم يوسف أفندي الخطيب، قاضي جبل لبنان الشرعي المخضرم (آخر عهد الأتراك وأوّل عهد الفرنسيين)، وقاضي جدّة الشرعي قبل ذلك.

عبد البديع الخطيب، مدير إدارة الديون العمومية والملح وجمرك صيدا.

إبراهيم عبد اللطيف الخطيب، نائب القاضي ومقسّم المواريث لجميع طوائف لبنان.

رفعت الخطيب، أمين سر (نوزاد بك) مدير معارف جبل لبنان.

مصباح الخطيب، قائمقام جزين.

جميل الخطيب، قائد درك الجمهورية اللبنانية.

1- أنظر: محمد حسين المسيو الحجّار - تاريخ إقليم الخروب - ص 117 و 118 - مؤسسة البيادر - مزرعة الظهر 1978.

2- منهم من عاصرناه، ومنهم من عرّفنا به بعض معاصريه وعارفيه. وأنظر كذلك: محمد حسين المسيو الحجّار - م. س. ن. في صفحات متفرقة - منها على سبيل التمثيل لا الحصر: 46، 100، 126، 157 و 177...

والنوّاب في البرلمان اللبناني: أحمد يونس الخطيب، والدكتور عبد الغني الخطيب، والمتشرّع والوزير أنور الخطيب وابنه زاهر من بعده...

أمّا آل الحجار، فقد كان منهم على الصعيد اللبناني:

علي أفندي أبو خزعل علي الحجار، العضو المسلم في مجلس محاكمة الشوف، ومدير إقليم الخروب، وأوّل مقدم للطريقة الصوفية الشاذلية في شحيم.

حسين الحجّار، عضو مجلس إدارة جبل لبنان. ومن بعده ابنه عبد الحليم.

عبد الكريم حسين الحجار، قائمقام النبطية.

وعصام عبد الحليم الحجّار، نائب الشوف لدورتين في البرلمان اللبناني والنائب الحالي - منذ العام 2000 - الدكتور محمد رشيد الحجار.

أمّا خارج الساحة اللبنانية، وعلى صعيد الساحة العربية (لا سيّما ساحة بلاد الشام)، فقد لعب آل الخطيب دوراً سياسياً وإدارياً بارزاً. إذ نبغ فيهم رجال تولوّا مناصب رفيعة حسّاسة، وفي مقدمهم الأخوان: فؤاد وبهيج الخطيب.

ففؤاد - شاعر القومية العربية - كان أمين سر الشريف حسين، ووزير خارجيته، ثمّ وزير خارجية الملك عبدالله من بعده. وممثل الملك حسين في الحكومة الفيصلية العربية بدمشق. ثمّ سفير الملك عبد العزيز آل سعود في أفغانستان.

أما بهيج، فقد شغل منصب رئيس مجلس المديرين في سوريا، ورئيس الحكومة، وكاد أن يكون - بنفوذه - رئيس الدولة.

وقد ترأس الأخوان؛ فؤاد وبهيج، لجنتي ترسيم الحدود بين الأردن وسوريا.

وفي الأردن، شغل عبد الرؤوف الخطيب منصب رئيس ديوان الأمير عبدالله، ثم رئيس بلدية الزرقا. وفي سوريا نبغ كثير من اللبنانيين (الشحيميين) الذين تولّوا مسؤوليات قيادية؛ سياسية، وإدارية، وعسكرية... منهم:

أديب الخطيب، مدير الدوائر العقارية السوري العام، ثمّ مفتش الدولة. ونسيب الخطيب متصرّف لواء الفرات. وشفيق الخطيب مدير ناحية منبج...

على العموم، لقد لعب الحاكم الأجنبي، سواء أكان التركي أو الفرنسي، على وتر توازن القوى في شحيم، وبالتالي في الإقليم. وجعل من آل الحجّار (ممثلي اليزبكية في حينه)، وآل الخطيب (ممثلي الجنبلاطية في حينه)، حجري الرّحى التي طحنت أبناء إقليم الخروب وجنّدتهم في جبهتين متقابلتين من أجل هذا الزعيم أو ذاك.

وليس أدّل على هذا التوازن والتجاذب من الظواهر المبسّطة التالية:

1- عيادة إسماعيل حقي - متصرف جبل لبنان - صديقه حسين الحجّار، والد عبد الحليم، وتناوله طعام الغذاء على مائدة خصمه القاضي الشيخ إبراهيم الخطيب[1].

2- لمّا فتحت الدولة العثمانية - سنة 1915 - مدرسة للإناث في شحيم، اختارت لها في البدء معلمتين: أولاهما هند حسين الحجّار (شقيقة عبد الحليم)، وثانيتهما آدال عبد اللطيف الخطيب (شقيقة إبراهيم عبد اللطيف). ثمّ أُلحقتا بمعلمتين إحداهما: كلفدان حسين الحجّار (شقيقة عبد الحليم)، والأخرى مهيبة يوسف الخطيب (شقيقة إبراهيم يوسف). الأولى خريجة مدرسة الإنكليز في بيروت، والثانية خريجة مدرسة شحيم للذكور[2].

3- كان إقليم الخروب، ومركزه شحيم، محطّ أنظار كل من الإنتداب الفرنسي، والحكومة العربية الفيصلية بدمشق، في وقت واحد. وكان المدخل إليه عن طريق آل الحجّار وآل الخطيب، في زيارتين سياسيتين لاستمالة أهله.

1- راجع: محمد حسين المسبو الحجّار - م. س. ن. ص 169.

2- م. س. ن. ص 127. مع ملاحظة قد تكون هامّة في سياق الحديث، وهي وجود خريجات إناث من العائلات الشحيمية الأخرى المحازبة لهذه العائلة أو تلك، أو من أنسبائهما.

ففي جولة تطوعية للجهاد، وبناءً على رأي وزير خارجية الثورة العربية فؤاد الخطيب، قام القائد يوسف بك العظمة، سنة 1918، بزيارة للإقليم قاصداً الشيخ إبراهيم الخطيب الذي حشد لاستقباله خلقاً كثيراً من أبناء الإقليم - طبعاً من الجنبلاطيين - الذين ما إن دخل الركب شحيم حتى استُقبل استقبال الفاتحين، وحمل الشباب المتحمّس السيارة بمن فيها. وأُلقيت خطب الترحيب والمبايعة والإشادة بالحكومة الفيصلية... وخطب العظمة في الناس، داعياً إلى الاتحاد والإخلاص للدولة العربية، حاثاً المثقفين على المشاركة في بناء هيكل الدولة. فلبّى دعوته كثيرٌ من الشباب، من شحيم وبعض قرى الإقليم، كان منهم: إخوان فؤاد الخطيب، وأبناء أعمامه، ومضيفه الشيخ إبراهيم الذي عُيّن عضواً للمؤتمر السوري[1].

لقد كان لهذه الزيارة وقع عظيم في نفوس الفرنسيين، وردّ فعل قرّر الجنرال غورو على إثره زيارة مسلمي الإقليم. فعمّم عبد الحليم الحجّار الخبر على قرى الإقليم التي لبّى أهلها الدعوة جميعاً - طبعاً اليزبكيون منهم - فاستقبلوا الجنرال بإنشاد (المرسيليار)، وألقى الخطباء الخطب الترحيبية الرّنانة باللغة الفرنسية، وقد دبّجها كلٌ من الآباتي الصابونجي الرئيس العام لدير المخلّص، والقسّ يوسف عيد، وعبد الحليم الحجّار. وبعد أن تناول الجنرال، ومن معه من الجند، الغذاء على مائدة عبد الحليم الحجّار في صيوان كبير أُعِدّ لهذه المناسبة، جعل يستميل الناس بتوزيع المنح التعليمية المجانية على بعض أبنائهم[2]. والتبرع بمئة جنيه مصري لتجديد بناء مقام النبي (روبين)[3]. والأمر بفتح مدرسة للذكور وأخرى للإناث في شحيم!!![4].

1- مقابلة خاصة أجريتها مع المرحوم الشيخ مزيد الخطيب سنة 1986، ومع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار من معاصري الواقعة عاهدته ألاّ أذكر اسمه بناءً على طلبه إلاّ بعد وفاته!

2- منهم: كمال وعلي شقيقا عبد الحليم الحجّار، ونسيباه: حسن قبلان الحاج شحادة ومحمد حسين المسيو الحجّار. راجع للأخير كتابه تاريخ إقليم الخروب - ص 176.

3- يقع المقام على رابية تشرف على شحيم والإقليم التحتاني، مقابل منزل عبد الحليم الحجّار.

4- محمد حسين المسيو الحجار - م. س. ن. ص 175 وما بعدها.

وسواء أكانت زيارة يوسف بك العظمة هي البدء[1]، والثانية ردّ فعل عليها كما زعم الشيخ مزيد الخطيب - أم كانت ردّ فعل عنيفاً على زيارة الجنرال غورو - كما زعم الأستاذ محمد حسين الميسو الحجّار - فأنّ السياق واحد بناءً على الروايتين، والوقائع واحدة، والأهداف واضحة، والنتائج هي ذاتها، والمدخل هو هو (خطيب - حجّار)...

1- وهذا ما نرجّحه، لأن وصول الجنرال غورو إلى بيروت - بصفة قائد أعلى للجيش ومفوّض سامٍ في سوريا ولبنان - كان في 21 تشرين الثاني 1919.

الفصل الثاني

عبد الحليم الحجّار

1- هويته وأسرته.
2- زعامته.
3- نشأته وتحصيله العلمي.
4- محطات في حياته.
5- قصة نشيد.
6- محصّلة عامة.

نح يا محمد وابك يا طوس
وعفا العفاف وضاع معظم ما
والغوة الكبرى تقطف ظلها
لبنان! وا يوم ابلغ واعظ
لم يبق عنك تذله في هبة
ما زلت تحمده على اسوائه
حتى ابا حسن في الهوان لعلمه
ما كل بخط هانئ لبلوده
نزلوا على الضراء لما حقبة
تتعاورون على الحرام كأنهم
زل الحمى فاستأسدوا وهم اذا
في ظل جمهورية لم تقترع
قد رأسوه ضمائر حمداده
ما دام نيم بالقصور ولقمتي
وسير في حفلاته متبخترا
فليشق لبنان ويقضي نحبه

حفت الاوزان وأخون الناقدين
فغشيتها المتخلفين والكنفلين
وذوي الاباد واورد المتدلين
هذا جناه حريفك فرتيتي
تالله انك عاشق معذور
وتقر ما لوحي به بارس
لهذا وازعه ولا الناموس
لصق الخزية مفلح جاوك
حتى تهرأ جلده الملحوس
جند يدير شؤونه ابليس
في انتصيح ثعالب وتيوس
الا ليحكمنا بهن الدلوس
رزح الحكام ثوى المرؤوسون
حرساً وتمنعه الخنا قيصوس
بلباسه الرسمي ذا الطرزان
ولنحى هذا السيد المحروس !

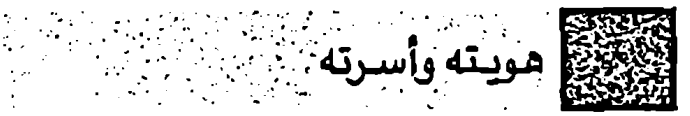

ولد عبد الحليم في شحيم، سنة 1896، في بيت علم وأدب وسياسة وإدارة. أمه درويشة ملكي الحاج شحادة. ووالده حسين على أفندي[1] الحجّار الأديب والشاعر، وعضو مجلس إدارة جبل لبنان - أيام المتصرفية - وصديق وصاحب حظوة عند كلّ من إسماعيل حقي - متصرف جبل لبنان، (1916/5/15 ← 1918/7/14)، ورضا باشا رئيس المجلس العرفي الذي أنشأه الأتراك في عاليه إبّان الحرب العالمية الأولى، وجمال باشا قائد الجيش العثماني الرابع. وبفضل علاقاته وصداقاته أُمّنت الإعاشة والقمح لإقليم الخروب، أيام المجاعة الكبرى سنة 1917. وبهمّته وإلحاحه الدائم على صديقه المتصرّف، تمّ وصل ساحل الإقليم بداخله، فشقت طريق للعربات بين الجيّة وبرجا، ثمّ أخرى بين وادي الزانية وشحيم.

وقد خلّد حسين الحجّار ذلك الأثر العظيم - في حينه - ببيتين من الشعر حُفرا على حجر وُضع في الجدار الواقي لطريق وادي الزانية - شحيم، تجاه عين الخربة[2]، وقد جاء فيهما قوله:

1- لقب تركي حاز عليه علي الحجّار جدُّ عبد الحليم.

2- نبع ماء في أول مدخل شحيم الجنوبي.

بكـى الإقلـيم أيّامـاً طِـوالاً ونـادى ربّـه قـد ضـاعَ حقّـي
فـرَقّ لـه إلـه الخـلـقِ عدلاً وأرسل نحـوه إسماعيل حـقّي[1]

ولمّا زار إسماعيل حقّي شحيم، سرّ بهذا الأثر سروراً عظيماً، وكان أوّل عمل قام به، أنه عاد صديقه حسين الحجّار الذي كان يحتضر، ثمّ تناول الغذاء على مائدة خصمه القاضي الشيخ إبراهيم الخطيب[2].

قضى حسين الحجّار، وقد ترك أسرة من ثمانية أولاد، عملت في السياسة والإدارة والخدمة العامة والتعليم. وهم:[3]

1- عبد الحليم (له في البحث صلة).
2- كمال، حاز على منحة تعليمية مجّانيّة من الجنرال غورو، وتخرّج في الكليّة البطريركية في بيروت، وعمل في وزارة الداخلية اللبنانية.
3- عبد الكريم، تولّى منصب قائمقام النبطية، وكان المرشح الدائم للانتخابات النيابية في قضاء الشوف عن المقعد السنّي.
4- عارف، عمل ضابطاً في الجيش اللبناني، وتوصّل إلى رتبة عقيد.
5- علي، حاز على منحة تعليمية مجانية من الجنرال غورو، خريج الكليّة البطريركية في بيروت، تابع تحصيله العلمي، وعمل بصفة مهندس هيدروليك في وزارة الأشغال العامة اللبنانية، رئيس منطقة البقاع، ورئيس مصلحة في التنظيم المُدني، كان عضواً في لجنة الأبحاث الذريّة، وله دراسة عن الزّلازل في لبنان وعدّة اختراعات مسجلة باسمه.
6- عادل، عمل موظفاً في وزارة الداخلية اللبنانية.

1- ينسُب الرئيس القاضي أنور الحجّار هذين البيتين إلى عبد الحليم - التعريف بعبد الحليم - ص 3 - أوراق خاصة غير منشورة.

2- يراجع: محمد حسين المسيو الحجّار - تاريخ إقليم الخروب - ص 46، 47، 168 و 169.

3- من مقابلة خاصة مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار، أجريتها صيف 1997، وكذلك من مقابلة مع كلّ من الرئيس القاضي أنور الحجّار، والأستاذ زيد الحجّار، أُجريت بتاريخ 2006/3/18، ويراجع كذلك: محمد حسين المسيو الحجّار - م. س. ن. ص 127.

7- كلفدان، خريجة مدرسة الإنكليز في بيروت، وإحدى معلمّات مدرسة الإناث في شحيم، وزوجة عبد الغفّار الحجّار الذي شغل منصب رئيس دائرة السّوق في لبنان.

8- هند، خريجة كليّة التربية للبنات في اسطنبول، وأوّل معلمة في مدرسة شحيم للإناث، وزوجة نائب الشوف في البرلمان اللبناني، قبلان قبلان، ووالدة القاضي هشام قبلان.

ومنذ وقت مبكر، حاول حسين الحجّار، أن يدّرب ولده عبد الحليم على درب السياسة والخدمة العامة والزعامة... فعهد إليه - وهو بعد في مقتبل العمر - وإلى صهره، سليم قبلان الحاج شحادة، توزيع الإعاشة والقمح في إقليم الخروب، أيّام المجاعة الكبرى السابقة الذكر.

ولمّا زار جمال باشا - سنة 1917 - مجلس الإدارة في بعبدا، اغتنمها الوالد فرصة، ليقرّب ولده منه، ويلقي بين يديه قصيدة عصماء، جاء فيها قوله:

يـا أمـير اللـواء ربَّ الجنـود حكم السيف في رقاب العنيد[1]
كلّمـا رأينـاك مـرّة تلـو أخـرى ذكّرتنـا الأيـام بـابن الوليـد[2]

زعامته:

عبد الحليم الحجّار، ورث زعامة محليَّة وإقليمية أتت إليه ولم يسعَ إليها، فصانها وعمل على نمائها، حتى أنّه - إلى أضيق الحدود - قد بنيت زعامته على قاعدة عائلية أسّس لها جده لأبيه على أفندي الحجّار.

فعائلة (الحجّار) من كبرى العائلات الشحيمية وأعرقها وأكثرها تماسكاً. وإن تنافست زعامة الإقليم مع (آل الخطيب)، إلاّ أنّها كذلك تنافست الزعامة فيما بينها. وانتقلت قيادتها من (جبٍّ) إلى (جبّ)، "الحاج ضاهر، نصر الدين

1- كذا في الأصل، والصحيح العبيد (بالباء المنقوطة نقطة واحدة من تحت).

2- محمد حسين المسيو الحجّار - م. س. ن. ص 47.

أو بو نصر الدين، رسلان، قميح، صالح، زغلان، علي حسين..."، حتى انتهت إلى علي أفندي.

لمّا كان علي (الحاج ضاهر) الحجّار[1] زعيماً لليزبكية في شحيم والإقليم، نافسه الزعامة على أفندي. فدّب النفور بينهما والقطيعة حتى كاد صداهما أن يقلق الأمير مصطفى أرسلان[2]، فأرسل الأمير شكيب أرسلان لإصلاح ذات البين بين العليّين، منعاً لتحزّب (آل الحجّار) لهذا وذاك، وتشتتهم إلى فرق وأشياع، وانفراط عقد اليزبكيين في شحيم، وبالتالي في إقليم الخروب.

علم علي أفندي بالأمر، وكان على قدر كبير من السياسة والدهاء والطموح... بعكس منافسه، فأسرع واقتحم على علي الحاج مجلسه في منزله، ونحّى من كان يجالسه، ليجالسه هو جنباً إلى جنب، وعلي الحاج ينظر إليه مندهشاً مستغرباً، لا يعلم أنّ وراء الأكمة ما وراءها!

يدخل الأمير شكيب المجلس، وبين وجوم علي الحاج وبشاشة على أفندي، يدرك الأمير نباهة الأفندي وحنكته[3].

تتم المصالحة، ويبايع على أفندي بالزعامة - إنمّا في القلوب ما فيها - ثمّ يحصل على لقب (البكويّة)، ويخلّف: محمداً وحسيناً، وستّ بنات. وما زالت ذريته - إلى يومنا هذا - تعرف بـ (بيت البيك). أمّا أبناء غريمه وأحفاده فيعرفون بـ (بيت الحاج، أو بيت علي الحاج).

أما محمد أفندي، فقد كان في عِداد اللبنانيين المهاجرين إلى أميركا، وفيها أثر أنه أصدر جريدة الهدى[4]. وقيل جريدة الصراط في بوسطن[5]. وبقي حسين أفندي في لبنان يسوس أخواته، وعائلته، ويزبكيته، ويكمل ما أسّسه والده، ويقوم بأعباء الإرث العظيم بحنكة ودراية.

1- من كبار ملاكي شحيم.

2- أمير اليزبكيين - في حينه - على صعيد لبنان.

3- من المقابلة مع كلّ من الرئيس القاضي أنور الحجّار، والأستاذ زيد الحجّار.

4- الأستاذ زيد الحجّار، من المقابلة السابقة نفسها.

5- محمد حسين المسيو الحجّار - م. س. ن. ص 174.

رأى حسين أفندي في المصاهرة ركناً هاماً من أركان تمتين أواصر القربى، ولمّ الشمل، وتوحيد الصف، فعمل منذ بدء حياته السياسية على ثلاثة محاور:

أوّلها (آل الحجّار)، إذ راح يسترضي (بيوتاتهم) بتزويجه أخته (نجيّة) إلى عبد الحميد (صالح)، وأخته (جنى) إلى عبد الحميد (قميع)، وأخته (صباح) إلى أحمد إبراهيم (زغلان).

أمّا المحور الثاني، فهو العائلات الحليفة، فقد عمل على دعمه بتزويج أخته (منتهى) إلى سعيد حمدان مدير ناحية إقليم الخروب، وأخته (خديجة) إلى سليم قبلان الحاج شحادة.

بقي المحور الثالث، وهو أصعبها، فقد كان مرمى حسين أفندي كسب ودّ (آل الخطيب) مناوئيه ومنافسيه، فعمل على تزويج أخته (نايفه) من عزت الخطيب[1].

إلاّ أنّ الرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن. لقد قضى وترك عبء الزعامة على كاهل ابنه البكر الفتّي عبد الحليم الذي لم تساعده الظروف المحليّة والوطنية والإقليمية... إلاّ على صعيد المحور الأول بتثبيت اسم العائلة وحده في البطاقات الشخصية لآل الحجّار جميعاً، دون اسم (الجبّ)[2]. وعلى صعيد المحور الثاني بشتّى السبل (سبل القربى، الصداقات، الخدمات...).

نشأته وتحصيله العلمي:

نشأ عبد الحليم في شحيم، وترعرع في بيت علم وسياسة وإدارة وأدب، وكان من المحظوظين بين أترابه وأبناء بلدته ومنطقته. فزعامة حسين أفندي ومتطلّباتها، لم تشغله عن تربية أولاده ورعايتهم، لا سيّما ابنه البكر الذي كان

1- من المقابلة السابقة نفسها، والمهندس زهير عبد الغفّار الحجّار، من مقابلة أجريتها معه بتاريخ 2006/5/6.

2- من مقابلة مع النائب اللبناني الدكتور محمد الحجّار، أُجريت بتاريخ 2006/3/25.

يعوّل عليه كثيراً في خلافته. فقد عهد إليه مبكراً القيام بأعمال خدماتيه، وقرّبه من عليّة القوم وسدنتهم، مزوّداً بالعلم والمعرفة.

تلقى عبد الحليم دروسه الأولى في المدرسة الرشدية، وفيها تعلّم مبادئ القراءة والكتابة والحساب... لينتقل من بعد إلى المدرسة العثمانية في بيروت، ومنها إلى الكليّة البطريركية حيث تسنّى له دراسة أصول اللغة ونظم الشعر على يدي الشيخ عبدالله البستاني[1]. وفي الكليّة البطريركية - يومئذٍ - أساطين اللغة والأدب، ورواد النهضة العربية الحديثة[2]. ثمّ تابع دراسته العليا في معهد الحقوق التابع لجامعة القديس يوسف في بيروت.

محطات في حياته:

أ- المناصب والإنجازات:

بدأ عبد الحليم الحجّار حياته العملية (السياسية والخدماتية) في سنّ مبكرة. إنّما على صعيد الوظائف التي عهد إليه بمهامها. أو المناصب التي تولاّها، فقد كانت بدايتها في 8 حزيران 1917، حيث انتُخب عضواً (نائباً) في مجلس إدارة جبل لبنان خلفاً لوالده. وفي 11 أيار 1918، عُيّن مديراً لمديرية الهرمل. وزعم المرحوم خليل نصر الدين الحجّار، أنّ عبد الحليم بدأ حياته الوظيفية قائمقاماً ممتازاً في مدينة بعلبك وختمها في المدينة نفسها بالرتبة نفسها[3]. وفي 10 كانون الثاني 1920، أُعيد اعتباره نائباً عن الشوف في مجلس الإدارة. وفي 8 نيسان 1921، عُيّن حاكماً إدارياً لمدينة طرابلس. وفي 27 نيسان 1927، عُيّن

1- الرئيس القاضي أنور الحجّار- التعريف بعبد الحليم الحجّار - ص 1 - أوراق خاصة لم تنشر بعد.

2- من أمثال الشيخين البازجيّين: خليل وإبراهيم.

3- من مقابلة أجريتها معه صيف 1997.

محافظاً في مدينة زحلة، وفي 2 تموز 1928، عُيّن محافظاً في الشوف. وبعدها عُيّن قائمقاماً ممتازاً في مدينة بعلبك، وبقي فيها حتى وفاته في 31 آذار 1937[1].

وحيث حلّ عبد الحليم حقّق إنجازات اجتماعية وعمرانية أكسبته ودّ الناس وتقديرهم، وكانت شاهداً حيّاً على حبه للعمران إلى جانب انشغاله بالسياسة والإدارة. ففي طرابلس حقّق مشروع تنظيم وسط المدينة المعروف بساحة التّل، فحسّن الشوارع، وفلشها بالإسمنت بعد أن كانت تراباً وبلاطاً. وأنشأ حديقتها العامة (المنشيّة)، وقد حمل مدخلها لوحة رخامية تحمل اسمه تخليداً لهذا الإنجاز. وفي زحلة - بالرغم من قصر المدة التي قضاها فيها - فقد عمل على شقّ نهر البردوني وصيانته، وجرّ مياه الشرب إلى منازل المدينة. فكرمته زحلة وأطلقت اسمه على شارع من شوارعها الرئيسية. وفي بعلبك حقّق عدداً كبيراً من المشاريع، لعلّ من أهمها: جرّ مياه العين الرومانية المعروفة بنبع اللجوج إلى المدينة، ومشروع تنظيم منطقة رأس العين السياحية، وصيانة قلعتها وترميمها وتنظيم الزيارات إليها وفرض رسم دخول، وشقّ الشوارع وأهمّها شارع المطران... فكرّمته بلدية بعلبك وأطلقت اسمه على مجاز المدينة والشارع الرئيس فيها. كما أهدته لوحة جدارية، فيها رسمه على نسج حريري كبير الحجم (صنع الذوق)، ضمن إطار خشبي حُفرت عليه أبرز المشاريع العمرانية التي حقّقها لمدينة بعلبك[2]. أمّا في بلدته شحيم، فقد قام بجر مياه عدّة ينابيع في خط أنابيب خاص على نفقته[3].

ولست أدري! أكرّم عبد الحليم الحجّار في بلدته شحيم، كما كرّم في المدن والبلدات الأخرى، أم لم يكرّم؟! على كلٍّ: (زمّار الحيّ لا يطرب)!!!

1- الرئيس القاضي أنور الحجّار - أوراق خاصة لم تنشر بعد عن عبد الحليم الحجّار - ص 1، ومن المقابلة السابقة مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار.

2- ما زالت هذه اللوحة الجدارية في حوزة حفيده مازن عصام الحجّار.

3- الرئيس القاضي أنور الحجّار - م. س. ن. ص 1، 2 و5، ومن المقابلة مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار، والأعمال العمرانية التي ما زالت قائمة في الأماكن المذكورة.

ب- قصة وطن

في أوائل شباط (فبراير) من سنة 1919م، سافر عبد الحليم الحجّار إلى باريس بصفته العضو المسلم في الوفد الأول الرسمي إلى مؤتمر الصلح من قِبل إدارة جبل لبنان، برئاسة داوود عمّون، وعضوية كل من: عبدالله خوري سعاده، ونجيب عبد الملك، وإميل إدّه، للمطالبة باستقلال لبنان بحدوده التاريخية، استقلالاً ناجزاً[1].

(وبدا أنّ بعض المواقف حاولت النزوع بالمؤتمر إلى أجواء بعيدة عن الغاية التي سافر الوفد من أجلها إلى باريس... ما حدا بالحجّار إلى الإدلاء بتصريح شفويّ بهذا الخصوص أمام المؤتمر، ثم أتبعه بمذكرة[2] خطيّة بالفرنسية مؤرخة في 13 شباط 1919 قدّمها إلى المؤتمر، وأعاد فيها التذكير بالمطالب التي أُنتدب الوفد اللبناني لحملها إلى باريس، والتي عرضها رئيسه بوضوح ودافع عنها أمام المؤتمر باسم الشعب اللبناني. ونوّه الحجّار في مذكّرته بأنه شديد الحرص على أن يحدّد بدقة مشاعر أبناء الطائفة الإسلامية التي يمثلها Les Sentiments de mes co- réligionnaires حيال بعض النقاط... حيث نعتبر - بحسب تعبيره - أنّ معاونة دولة صديقة للبنان إنّما هي ضرورية لتمكينه من تطوّره كاملاً. وأضافت المذكرة ما ترجمته حرفيّاً بالعربية: نحن مقتنعون، من جهة أخرى، بأنّ هذا التعاون سوف لن يلبّي بالكامل آمالنا إلاّ إذا حصل ضمن احترام استقلالنا وباتجاه حكومة ديمقراطية متحرّرة من كل شكل طائفي أو ديني)[3].

ببساطة، وبناءً على هذه المذكرة، كانت مطالب الوفد اللبناني الأوّل إلى مؤتمر الصلح تتمحور حول المطالبة باستقلال لبنان بمعاونة دولة صديقة، وإن لم تسمّ المذكرة هذه الدولة الصديقة، فلنعتبر أنّها - ضمناً - هي فرنسا، فاللبنانيون

1- يراجع: د. محمد مراد - العلاقات اللبنانية - السورية، حاشية ص 39 - دار الرشيد للعلوم - بيروت 1993.

2- محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية، مذكرة رقم E 3311.

3- الرئيس القاضي أنور الحجّار - أوراق خاصة لم تنشر بعد - ص 2.

الذين حاربوا في صفوف الحلفاء، جديرون بمعاونة أصدقائهم الفرنسيين وغير الفرنسيين - في مؤتمر الصلح - لنيل استقلالهم. وتأييدهم في إنشاء حكومة ديمقراطية متحرّرة غير دينية. إنّما لم يكن الانتداب - مطلقاً - مطلباً من مطالب الوفد.

يبدو أنّ هذا الملف المتشدّد كان في جملة الأسباب التي أدّت إلى عدم نجاح الوفد اللبناني الأوّل برئاسة داوود عمّون في مهمته. ففي هذه الفترة، رغم مطالبة الأكثرية الساحقة من اللبنانيين والسوريين بالاستقلال، فقد كان نيله ضرباً من المحال. فاتفاقية سايكس - بيكو (نيسان - أيار 1916) التي تمّ بموجبها وضع سوريا ولبنان تحت سلطة الانتداب الفرنسي. واحتلال فرنسا لبنان، ومشروعها الرامي إلى السيطرة التامة على مقدّرات البلاد، وتأييد بعض الأوساط الأميركية والبريطانية مطالب الملك فيصل العربية... كلّ ذلك وغيره، ربّما كان من الأسباب التي حرّكت فرنسا، فأوعزت إلى البطريرك الماروني الياس الحويك التحدث بشأن المطالب اللبنانية (أواخر صيف 1919) فحقّق رغبتها، وطالب بالانتداب الفرنسي. ثمّ أعلن الجنرال غورو دولة لبنان الكبير في أول أيلول من سنة 1920م.

ج- موقف الفرنسيين من عبد الحليم:

لقد حاول الفرنسيون استمالة عبد الحليم الحجّار، وحاولوا تصويره رجلهم الأوحد في إقليم الخروب، ودرعهم الواقي في وجه الثورة العربية، وعملوا على ذلك، بالمناصب التي عهدوا بها إليه، والهبات والمنح التعليمية التي أخصّوه بها، وبزيارات التكريم...[1] إلاّ أنهم لم يأمنوا جانبه - رغم صغر سنه - لعلوّ كعبه السياسي، وزعامته الوطنية، وانتمائه الديني...

فعمّه محمد أفندي الحجّار يهاجم من بوسطن على صفحات جريدته، غبطة البطريرك الحوّيك، ويدّعي أنه: «ترك بيوت الله خاوية على عروشها،

1- يراجع (2) من الفصل الأول من الباب الثاني، والمناصب التي تولاّها.

وجاء يتسكع في باريس، مستجدياً عطف الأم الحنون، ومهيباً بها لتبادر لاحتلال سوريا ولبنان. وتحقّق حلماً قديماً طالما راوده وراود أمثاله»[1]. فوطنية محمد أفندي الحجّار وبغضه فرنسا كانا من الأسباب الكامنة لرفض تعيينه، عندما اتفّق أن عاد إلى لبنان من المهجر وطلب وظيفة من الحكومة، ورسالة موجّهة إلى ابن أخيه عبد الحليم الذي اقترح تعيينه مديراً لجبّ جنين[2].

وزعم المرحوم الأستاذ محمد حسين الميسو الحجّار، أنّ عبد الحليم الحجار قد تعرّض في أثناء سفره إلى مؤتمر الصلح في باريس لمضايقات (الأنتليجانس) الإنكليزية، وخصوصاً في بور سعيد؟! أثناء توقف الباخرة التي كانت تقلّ الوفد اللبناني للتزوّد بالوقود اللازم. ممّا استدعى تخصيص حرس يسهر عليه[3].

أمّا الحقيقة التي دُفنت مع عبد الحليم الحجّار، وشاء القدر ألاّ تموت، فهي: أنّ العضو المسلم في الوفد اللبناني الذي ترأسه داوود عمّون إلى مؤتمر الصلح في باريس، كان طريّ العود، وشاهداً (لم يشاهد حاجه). فمن لبنان إلى فرنسا أبحر الوفد، وعرّج على الإسكندرية برفقة رجال أمن فرنسيين. فأُنزل عبد الحليم ومرافقه خليل نصر الدين الحجّار، وعَيْن الرقيب الفرنسي، في فندق غير الفندق الذي أُنزل فيه باقي أعضاء الوفد ورئيسه. ومُنع عليه مغادرة الفندق، ومكالمة أيّ شخص أو مجالسته منفرداً. وما طبّق عليه في مصر، طبّق عليه في فرنسا - شكلاً ومضموناً - ولم ير شركاءه في الوفد إلاّ أثناء جلسات المؤتمر، وتوقيع المذكرة الخطية السابقة الذكر التي تقدم بها في 13 شباط 1919.

وفي الإسكندرية، لمّا أمن مكر الرقيب، نظم، وهو بعد في الباخرة، قصيدة بعث بها إلى الأمير فيصل بن الحسين، مطلعها:

1- محمد حسين المسيو الحجّار - تاريخ إقليم الخروب - ص 174.

2- م. س. ن. - ص ن.

3- يراجع: م. س. ن. ص 173.

يشـــهد الله أنـــني عربـــي ومنـــاي اســـتقلالهم ورجـــائي
وعـــلى ذا الإيمان ثبّتّ رأيـــي فاشهدي يـــا نجوم هـــذي السماء[1]

فبعد، كيف يأمن الفرنسيون جانب عبد الحليم الحجّار، وهو عربي الهوى لبناني الإنتماء؟!

واتّفق أنه لمّا كان الحاكم الإداري لمدينة طرابلس، أن جرت الانتخابات البلدية فيها، فترشح لرئاستها كلٌ من نور الدين علم الدين مدعوماً من الفرنسيين، وخير الدين عدرا مؤيداً من عبد الحليم. وأثناء اجتماع وجهاء طرابلس عنده في التل، بانتظار نتيجة الانتخابات، قال مغتبطاً لمّا فاز الثاني: «الحمد لله، مشينا على نور، ووصلنا إلى خير». فكانت بداية مناكفاته العلنية مع الفرنسيين، وكان مسلسل تنقّله السريع من منطقة إلى أخرى، ثمّ كسر رتبته ونفيه إلى بعلبك[2].

وفي بعلبك لم يدعه الفرنسيون وشأنه، ولم يكتفوا بكسر رتبته من محافظ إلى قائمقام ممتاز، بل عملوا على تحريض الأهالي وتأليبهم عليه، وأوعزوا إليهم بمناهضة مشروع جرّ مياه نبع اللجوج. فاغتنمها حبيب باشا السعد[3] فرصة لمحاربته وإنزال الضربات الموجعة إليه لغلٍ كان في صدره[4]. إلاّ أنّ إصرار عبد

1- من المقابلة السابقة مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار، والتي أخذ فيها منّي العهد على ألاّ أنشرها إلاّ بعد وفاته!!! وورد البيتان في تاريخ إقليم الخروب - ص 173، وأورد الرئيس القاضي أنور الحجّار في أوراقه الخاصة - ص 3 - بيتاً واحداً من القصيدة على الشكل التالي:

يشهد الله أنّني عربي* فاسمعي يا نجوم هذي السماء

2- من المقابلة السابقة مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار.

3- رئيس مجلس الإدارة في النظام القديم، ورئيس المجلس النيابي الأوّل في النظام الجديد، ورئيس الجمهورية المعيّن بتاريخ 31 كانون الثاني 1933.

4- يراجع: محمد حسين السيو الحجّار - تاريخ إقليم الخروب - ص 186 و 187، ويروي الأستاذ زهير الحجّار عن والده عبد الغفّار، صهر عبد الحليم، من مقابلة أجريتها معه بتاريخ 2006/5/6: «كان بين حسين أفندي الحجّار، وبين حبيب باشا السعد علاقة مودّة ومؤاخاة. وكان عبد الحليم ينادي حبيباً بعمي. وينادي حبيب بابن أخي. ألاّ أنّ المصالح السياسية قد فرّقت بين العم وابن أخيه. ففي انتخابات 1929 النيابية - التي كانت تجري على درجتين - وقف عبد الحليم إلى جانب إبن إقليم الخروب اسكندر فضّول البستاني، ففاز على حبيب باشا السعد الذي - لسوء حظ عبد الحليم - عُيّن تعييناً في هذا المجلس، ثمّ عُيّن رئيساً للجمهورية اللبنانية، فكان أول مرسوم يصدره كسر رتبة عبد الحليم من محافظ إلى رتبة قائمقام ممتاز، مشفوعاً بقولته الشهيرة: «لولا أُخوّتي لوالده لرميته في البيت...».

الحليم، وحبّه للعمران، ومؤازرة آل ياغي... دفعه إلى إثبات وجوده غير آبه بخصومه. فطلب من صديقه المهندس « هيدروليك » جان حكيّم، من البترون، دراسة تفصيلية عن نبع اللجوج. ولمّا ثبتت جدوى المشروع، جمع الأهالي، وطلب اشتراك كلّ منهم بمتر مكعب من المياه، ودفع أقساط مسبقة، حتّى تمّ التنفيذ[1].

ولمّا برز نجم الكتلة الدستورية بقيادة الشيخ بشارة الخوري، زعيم المعارضة في ذلك الوقت، لاقت أفكاره ومواقفه صدى في نفس عبد الحليم فانحاز إليها، وساءت علاقته بالفرنسيين وبالحكومة الموالية لهم في بيروت[2]. ونظَم في ذلك أكثر من نظم. وجاء في إحدى قصائده قوله:

نـح يـا محمـد وابـك يـا طنـوّسُ ... حفـت الآذان وأخـرس النـاقوسُ
وعفـا العفـاف وضـاع معظـم مالنـا ... ففشى بنا (السفليس)[3] والتّفليسُ
والنـّخوة الكـبرى تقلـص ظلـهّا ... وذوى الإبـاء وأورقّ التـدّليسُ
لبنـان: والأيـام أبلـغ واعـظ ... هـذا جنـاه صـديقك فرنسـيسُ
لم يغـن عنـك تدلّـه في حبّـه ... تـالله أنّـك عاشـقٌ منحـوسُ
مـا زلـت تحمـده علـى أسـوائه ... وتُقـرُّ مـا تـوحي بـه بـاريسُ
حتـى أباحـك في الهـوان لطغمـة ... لا الـدين وازعهـا ولا النـّاموسُ
مـن كـلّ أشمـط خـائن لـبلاده ... لـصّ الخزينـة مُفسـدٌ جاسـوسُ
نزلـوا علـى الصـندوق لحسـاً حقبـة ... حتـى تهـرّأ جلـده الملحـوسُ
يتعـاونون علـى الحـرام كأنـّهم ... جنـد يـدير شـؤونه إبلـيسُ
ذلّ الحمـى فاستأسـدوا وهـم إذا ... صـحّ الصـحيح ثعالـب وتيـوسُ
في ظـلّ جمهوريـة لم تخـترع ... إلاّ لـيحكم بهـا الـدّبوسُ[4]

1- من المقابلة نفسها مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار.

2- من المقابلة السابقة نفسها.

3- كذا في الأصل، والمقصود مرض (السفليس) الزهري.

4- مخطوطة مصوّرة بحوزة الرئيس القاضي أنور الحجّار.

لم ينس الدستوريون عبد الحليم الحجّار، وقد ترسّخت علاقته بهم، فلمّا تولى ميشال زكور مهام وزارة الداخلية (سنة 1937) شرع في إعداد مرسوم يقضي بتعيينه مديراً للوزارة المذكورة. إنّما كان الأجل أسرع منه، ففي بعلبك كان عبد الحليم يحتضر. وفي (2 نيسان) كان الوزير في شحيم يؤبّنه، ويعلّق على نعشه ميدالية الاستحقاق اللبناني الفخرية المذهّبة. كما منحته الحكومة الفرنسية وسام المعارف من رتبة ضابط، ووسام جوقة الشرف[1].

قصة نشيد:

أ- اختيار النشيد الوطني اللبناني:

من مقدسات المواطنية (في كل زمان، وفي كل مكان) قدسية الكيان، وقدسية العلم، وقدسية النشيد... مقدسات موقوفة على كل الناس مهما اختلفت مواطنهم وأعراقهم ومعتقداتهم الدينية وغير الدينية... ومهما تنوّعت مآربهم ومشاربهم وأهواؤهم الذاتية وغير الذاتية...

والنشيد الوطني - بكلماته وتعابيره - من المقدسات الوضعية التي قد تمّ اختيارها، والتوافق عليها، قد يكون محورها التاريخي والحضاري - عادة - الماضي والحاضر والمستقبل. وبالتغيّر السريع للحاضر والمستقبل، قد لا يكون من الكفر تغيّر الاختيار إن تمّ التوافق.

في أيّار 1926، إثر إعلان الجمهورية اللبنانية، وانتخاب شارل دبّاس رئيساً لها، تحت وصاية الانتداب الفرنسي، فكّرت الحكومة الأولى (حكومة ليون كيلا Léon Caila)، في وضع نشيد وطني لبناني، فصدر في 19 تموز مرسوم جمهوري عنوانه: « مسابقة لاختيار النشيد الوطني اللبناني ». نصّت المادة الأولى منه على أنّ المسابقة قسمان: (مسابقة لاختيار قصيدة عربية تصلح كلماتها للنشيد اللبناني، و(مسابقة بين مؤلفي الألحان لانتقاء اللّحن الذي يوضع للقصيدة المختارة). أمّا المادة الثانية فقد جاء فيها: « أنّ لجنة التحكيم المكلّفة اختيار

1- الرئيس القاضي أنور الحجّار - أوراق خاصة لم تنشر بعد - ص 5، ومن المقابلة السابقة مع المرحوم خليل نصر الدين الحجّار.

النشيد هي برئاسة وزير المعارف العمومية والفنون الجميلة نجيب أميوني، وعضوية كلّ من: الشيخ عبدالله البستاني / أستاذ عبد الحليم الحجّار والرئيس الفعلي للجنة /، وجميل بك العظم، وعبد الرحيم بك قليلات، والشيخ إبراهيم المنذر، والسيد عبد الباسط فتح الله، وشبلي بك ملاط.

فور الإعلان عن المسابقة، شارك كثير من كبار الشعراء اللبنانيين، من المقيمين والمغتربين، من بينهم: حليم دموس، وقيصر المعلوف، ومتري المرّ، وحبيب ثابت، ووديع عقل والياس فيّاض... وقد كانت من محاور أناشيدهم - في الأعمّ الأغلب - : الفخر والاعتزاز بالوطن، والدعوة إلى الكليّة والتوّحد، والحث على الحمية والإقدام، والدفاع عن الوطن ومجابهة الأعداء، والتغنّي بسخاء الطبيعة اللبنانية وجمالها، وكرم اللبنانيين وإكرام الضيف... فكان مطلع نشيد الشاعر المهجري مسعود سماحة، على سبيل التمثيل:

مـــوطن الأحـــرار مـــوطن الشـــجعان
أيـــة الأدهـــار أنـــت يـــا لبـــنان

وكان مطلع نشيد الأخطل الصغير:

يـــا تـــراب الـــوطن ومقـــام الجـــدود
هـــا نحـــن جيـــنا لـــمّا دُعـــيـــنـــا
بكلّ غـالٍ نجـود

غير أنّ الأخطل قد سحب قصيدته من المباراة لّما بدا له أن لهجتها أشدّ وقعاً ممّا يمكن أن يحتمله وضع البلد في ظل الانتداب. واسترعت حماسيّة عبد الحليم الحجّار (الفخر في بلادنا)، انتباه اللجنة، وكادت أن تقرّها مع بعض التعديل، إلاّ أنّ ناظمها قد رفض تبديل أيّ بيت ورد في نشيده. فأعلنت - في أواخر تشرين الأول - فوز نشيد الشاعر رشيد نخلة (كلّنا للوطن) الذي وقعه باسم معبد (إسم مغنٍ عربي مشهور)، بعد أن عدّل فيه قليلاً. وفي 12 تموز 1927، صدر المرسوم رقمّ 1855، الذي نصّ في مادته الأولى على اعتبار (اللحن الذي وضعه الأستاذ وديع صبرا مدير المدرسة الموسيقية الوطنية في بيروت لحناً

رسمياً للنشيد الوطني اللبناني)، لناظمه رشيد بك نخلة الخطيب المفوّه، والأديب الأصيل، والشاعر بالسليقة...[1] وقد جاء فيه قوله:

كلّنا للوطنْ للعلى للعلمْ
ملء عين الزمنْ سيفنا والقلمْ
سهلُنا والجبلْ منبتٌ للرجالْ
قولُنا والعملْ في سبيل الكمالْ
كلّنا للوطنْ للعُلى للعلمْ

كلّنا للوطنْ

شيخُنا والفتى عند صوت الوطن
أُسْدُ غابٍ متى ساورتنا الفتِن
شرّقتْنا قلبُهُ أبداً لبنان
صانه ربُّه لمدى الأزمان
كلّنا للوطنْ للعُلى للعلمْ

كلّنا للوطنْ

بحرُهُ بَرُّهُ دُرَّةُ الشرقيْن
رفدُهُ يُسرُهُ مالئ القطبين
اسمُهُ عِزُّهُ منذ كان الجدود
مجدُهُ أرزهُ رمزهُ للخلود
كلّنا للوطنْ للعُلى للعلمْ

كلّنا للوطنْ

أما حمّاسية عبد الحليم الحجّار التي لم تستطع اللجنة إخفاء إعجابها بها، فنشرتها واعتمدتها الدولة - من بعد - نشيداً رسمياً باسم (النشيد الشعبي)،

1- بهذه التعابير ومثيلاتها قدّمت الصحف اللبنانية الشاعر رشيد نخلة، فور اعتماد قصيدته نشيداً وطنياً لبنانياً.

ودخلت في مجموعة الأناشيد العسكرية والوطنية التي لحنّها الأخوان فليفل[1]، فقد جاء فيها قوله:

الفخر في بلادنا

- 1 -

الفخـــر في بلادنـــا، والعـــزُّ باتـــحادنا،
وعـــن ذرى أطوادنـــا، والأرز لا تســـلْ
حبّـــذا لبنـــانْ جنّـــةُ الخلـــود
مهـــبط البيـــانْ ثريـــةُ الجـــدود
يـــا بـــني الأوطـــانْ عُصْـــبَةُ الأســـود
إذا دعـــا داعـــي الحمـــى يـــثير فينـــا الهِمـــا
وســـالتِ الأرضُ دِمـــا وَرُوِّع الجبـــلْ
أســـرجوا الخيـــولْ، واقرعـــوا الطُّبـــول،
واقحمـــوا السُّـــهول، واحرُســـوا الجبـــلْ

- 2 -

أعِـــزَّةٌ ضـــيوفنا، رهيفـــةٌ سُـــيوفُنا،
مُـــؤمَّنٌ مَصـــيفُنا، لكـــلّ مَـــنْ تَـــرَلْ،
نحفـــظُ الزِّمـــام، ونُكـــرِمُ النَّـــزيلْ،
ويُـــبرِئُ السَّـــقام، هواؤنـــا العليـــلْ
فأرضُـــنا سَـــلامْ، والمـــاءُ سلســـبيلْ،
ولا نحـــبُّ الإعتـــدا، ولا نـــرى إلاّ الهُـــدى،
لكـــنْ إذا الشَّـــرُّ بـــدا، واحمـــرَّتِ المقـــلْ،
أســـرجوا الخيـــولْ، واقرعـــوا الطُّبـــول،
واقحمـــوا السُّـــهول، واحرُســـوا الجبـــلْ

1- أحمد ومحمد.

- 3 -

الـــموتُ في جهادنـــا ... خـيرٌ مـن اسـتعبادنا
هشي على أكبادنـا ... في الحـادث الجلـلْ
مـا تِلكُـمُ الأشـباحْ ... في مَـريض الأسـودْ،
تسـيرُ للبطـاح، ... وتخـرُقُ الحـدود؟
هُبُّـوا إلى السـلاح ... يـا أيّهـا الجنـود،
ولِيَـرْتعِـدْ مَـنْ ظلمـا ... قـد شـاقنا سَـفْكُ الـدَّما
ويـل لـمن رام الحِمـى ... فـالحرُّ لا يُـذل.
أسـرجوا الخيـولْ، ... واقرعـوا الطُّبـول،
واقحمـوا السُّهول، ... واحـرُسوا الجبـلْ

- 4 -

لُبنـانُ هُـزَّ البيرقـا ... واصْـعَدْ لأعلـى مُرتقـى
حتـى تُـنيرَ المشـرقا ... بـالعلمِ والعمـلْ
لبيّـك فخـرَ الـدين ... ويـا بشـيرُ مـرْ
فكلّنـا أمـينْ ... وكلّنـا نكُـرْ
مـن مُرتقـى صـنين ... للسّـهل والنَّهرْ
تحرّكـت فِتياننـا ... ورُغـردَت بِنسوانُنـا
فهـودنا لبنانُنـا ... يمشـي بـلا وَجَـلْ
أسـرجوا الخيـولْ، ... واقرعـوا الطُّبـول،
واقحمـوا السُّـهول، ... واحرُسـوا الجبـلْ[1]

1- استندت (قصة نشيد) بشكل رئيس إلى: الرئيس القاضي أنور الحجّار - أوراق خاصة لم تنشر بعد - ص 5، وإلى التسجيلات التي ستلي في البحث، تحت عنوان (من الإذاعة اللبنانية) و(من رسالة)/ وإلى بحثين؛ الأول لريمون الكِك والثاني لجوزف إلياس - نشرا في كتاب (مواطن الغد، الحريات وحقوق الإنسان) - المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم - 1998.

وبعد، هل كان وراء عملية اعتماد قصيدة رشيد نخلة، كنشيد وطني، واستبعاد قصيدة عبد الحليم الحجّار، بعدٌ سياسي كان الانتداب وراءه، أم لا؟ هل كان الاستبعاد أمراً مباشراً أم قراءة مسبقة للّجنة في فكر المنتدب، ما يرضيه فيسعده، وما يسيئه فيغضبه؟ لو تركت حرية الاختيار للّجنة، هل كانت اختارت ما اختارته؟...

بعيداً عن المرويّات، والمصادر والمظان التي عاشت معمعة الاختيار، قد تكمن الإجابة في قراءة سريعة غير متعمّقة للنشيدين. مع الإشارة إلى ثبوت اطّلاع الفرنسيين على كل مضامين الكلمات (القصائد) التي خاض بها أصاحبها المباراة. فهل ترضيهم المضامين الحماسية، ودعوات التحرّر والتوحّد والاستقلال، ومجاهدة المحتلّ... وهمُ همُ المحتلّ ولو بثوب قشيب؟!!

ب- قراءة في «النشيد الوطني» و«النشيد الشعبي»:

كلٌّ من النشيدين، شكلٌ من أشكال الشعر العربي (الموشحات) التي تمت هندستها، وكمل بنيانها، وافتتن بها الخاصة والعامة في مجالس أدبهم وغنائهم، وفي ساحات الوغى والجهاد... نظم فيه الشعراء على أوزان الشعر العربي القديم، كما نظموا على أوزان لم يعرفها العروضيون من قبل، ولم يقروّها في الأشعار القديمة[1]. وكل تلك الأوزان المخترعة لا تخرج عن الروح العروضي العربي العام[2]. (وقد يخلط بعض الوشّاحين بين الدّوبيت والموشّح في نظم واحد)[3]، كما فعل - من قبل - العزازي، أحمد بن عبد الملك[4]، وصفي الدين الحلّي في

1- يراجع: د. إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر - ط 5، ص 225 - مكتبة الأنجلو المصرية 1978.

2- ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر: ديوان صفي الدين الحلّي - ص 125، وص 459 - تقديم كرم البستاني - دار صادر - بيروت 1990.

3- د. محمد زغلول سلام - الأدب في عصر المماليك - 418/1 - منشأة المعارف - الإسكندرية؟

4- ينظر: ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات والذيل عليها - 102/1 - تحقيق د. إحسان عبّاس - دار صادر - بيروت 1973.

أكثر من موّشح دوبيتي[1]... وكما فعل كل من شاعرينا؛ رشيد نخلة وعبد الحليم الحجّار في ما نظمه كلٌ منهما لخوض مباراة اختيار النشيد الوطني اللبناني.

فإن كان التجديد في الأوزان والقوافي مجرد تلاعب في العروض الخليلي طال الشكل، وليس خروجاً عليه، فأنّ ذلك (ليس مجرد خروج تشكيلي، إنمّا هو خروج شامل من حالة وعي معيّنة إلى حالة أخرى، ومن رؤية إلى رؤية، ومن حساسية إلى حساسية، ومن لغة شعرية إلى لغة شعرية، ومن ثقافة وقيم إلى ثقافة وقيم أخرى، ومثل هذا الخروج ليس سهلاً: إنه يستلزم القدرة الخلاّقة المحيطة)[2]. من هذا المنطلق، هل نرى في النشيدين إلى وعي واحد، ورؤية واحدة، وحساسية واحدة، ولغة شعرية واحدة... في الظروف المحيطة الواحدة؟!!

الواقع، لا. ففي (النشيد الشعبي) تبدو القدرة الفنيّة الخلاّقة عند عبد الحليم الحجّار راجحة عنها عند رشيد نخلة في (النشيد الوطني اللبناني)، كما يبدو نَفسَهُ الشعري أطول من نَفس صاحبه. فالمقطع (البيت) عند الأوّل مع دوره ولازمته يكاد أن يشكّل قصيدة مستقلة بذاتها (شكلاً ومضموناً)، تكاد أن توازي نظم نخلة كلّه.

ممّا لا شكّ فيه، أنّ الشاعرين كليهما، قد كانا يعيشان وعياً واحداً في ظلّ انتداب واحد يدركان أبعاده ومراميه. وكانا صاحبي رؤية استقلالية واحدة، إنمّا رشيد أضمرها، وعبد الحليم أظهرها وضجّ بها.

فبلهجة هادئة رصينة رضيّة (دبلوماسية)، افتتح الشاعر رشيد نخلة نشيده، لغته تقريرية ذات حركة أفقية لا تفور ولا تثور. في حين أنّ لغة عبد الحليم الحجّار، بجملها الإنشائية (النهي، الأمر، النداء، التعجب والاستفهام الإنكاري)، قد اشتدّ أوارها شيئاً فشيئاً، فكانت لغة تغوص إلى الأعماق، وتخترق الآفاق، فيها تحريض وثورة، استهلك فيها كثيراً من ألفاظ معجم الحماسة وتعابيره (عصبة الأسود، داعي الحمى، الهمما، سالت الأرض دما، رُوِّع، أسرجوا،

1- ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر: ديوانه - ص 456 وما بعدها.

2- أدونيس - مقدمة كتاب شكل القصيدة العربية للدكتور جودت فخر الدين - ص 11 - دار الآداب - بيروت 1984.

اقرعوا، أقحموا، احرسوا، رهيفة سيوفنا، احمرّت المقل، الموت في جهادنا، نمشي على أكبادنا، هبّوا، وليرتعد، سفك الدما...).

ولعلّ الجمل الخبرية الوصفيّة التي سيطرت على نشيد رشيد نخلة، قد أسهمت في هزال الألفاظ والتعابير، وأوهنت عزم إيقاع القصيدة (الداخلي والخارجي)، وزعزعت المعاني، فقد حملتها شكوكاً لم تؤدّ المغالاة بها إلى حدّ اليقين.

فالتعبير (رفده برّه مالئ القطبين)، على سبيل التمثيل لا الحصر، لا يقنع الواقع المعاش، ولا يرضي الخيال الشعري والصدق الفنّي. فلبنان ككيان (في نظامه القديم أو نظامه المعاصر) لا يعيبه أنّ أبناءه جوّابو الفيافي والقفار، حاملو الكشّة والقلم، قاهرو القطبين والقارات... في سبيل لقمة العيش الكريم، فأنّى لهم الرِّفد والبرُّ في زمن كاد كلّ من الشح والقحط والاستغلال... أن يقضي على معظمهم؟! فالمغالاة التي اتسم بها ديوان الشعر العربي، والتي سعى إليها الشعراء العرب - قديماً وحديثاً - ينشدون مقاربة الكمال، لا تبرّر للشاعر - في هذا المقام - فعلته. في حين أنّ مغالاة عبد الحليم الحجّار في «النشيد الشعبي» (جنّة الخلود، مهبط البيان، سالت الأرض دما، نمشي على أكبادنا..) في كناياتها ومعانيها المجازية تكاد أن تكون مقبولة ومستظرفة من المنطق الواقعي المُعاش، ومن المنطق الشعري الفنّي والخيالي.

والتعبير (مجده أرزه رمزه للخلود)، جملة خبرية مدرسية، حَرِيَّة بمعلّم صف يشرح لتلاميذه ما تعنيه الأرزة التي اتّخذها اللبنانيون شعاراً لهم. وهذا لا يثير المنتدب ولا يغضبه، بل على العكس، أنّه يبارك هذا المجد ويثني عليه، فلا فضل فيه للبناني على آخر. إنّما التعبير (الموت في جهادنا خير من استعبادنا) والتعبير (هبّوا إلى السلاح)، والتعبير (ليرتعد من ظلما)... سيوف مشهرة في وجه المنتدب، تدلّ عليه، وتقصده بذاته... فهل يباركها ويثني عليها، ويسكت عن الدّعوة إلى مقارعته وهدر دمه؟!

ويلفت الانتباه في (النشيد الوطني)، لفظة (الشرق) في التعبيرين: (شرقنا قلبه) و (درة الشرقين). فلعلّ لفظة (الشّرق) قد تأتّت تاريخياً من (المسألة

الشرقيّة) التي طالما أُثيرت في وجه الإمبراطورية العثمانية، وتقسيم تركة (الرجل المريض).

ولطالما تغنّى اللبنانيون (مقيمون ومهاجرون) بلبنان سويسرا الشرق، ودرة الشرق، وجنّة الله على الأرض... لكن أيّ شرق يقصدون؟! الشرق الأقصى أم الشرق الأدنى اللذين اختلطت معالمهما؟ أم كليهما؟ أم الشرق الأوسط الكبير الذي يُخطط له في يومنا المعاصر؟

أيّ شرق كان، فذلك لا يضير المنتدب أو المستعمر. إنّما العكس هو الصحيح، فقد يكون هذا المعنى سبباً رئيساً في انتداب أيّ بلد أو استعماره والتمسّك به. ومن هذا المنطلق أودّ أن أشير إلى ما وعته الذاكرة المدرسيّة، والمرويّات، والوقائع التاريخية... في كيفية نشأة الجيش اللبناني، لعلّ مكمن الشرق قابع هنا.

بإيجاز: شكلّت الحكومة الفرنسية، سنة 1916، (فرقة الشرق) من أبناء الشرق العربي للمحاربة بهم!!! وقد ضمّت هذه الفرقة العديد من الشباب اللبناني. وفي سنة 1926 - عام اختيار النشيد الوطني اللبناني - تمّ تشكيل أوّل فوج من القناصة اللبنانية من ضمن (فرقة الشرق). وكان هذا الفوج بمثابة النّواة لولادة الجيش اللبناني. وسنة 1943، وقبيل الإعلان عن استقلال لبنان، اندمجت الوحدات العسكرية المختلفة لتؤلف اللّواء الخامس المندمج بالجيش الفرنسي. وفي الأوّل من آب 1945، تسلّم لبنان جيشه الذي بات مسؤولاً عن كامل الأراضي اللبنانية بعد أن تمّ جلاء الجيوش الأجنبية عنها في 31 كانون الأول 1946.

أنّ وحدة الزّمان - عام 1926 - في تشكيل أوّل فوج من القنّاصة اللبنانية، واختيار النشيد الوطني اللبناني، قد يكون لها وجود في ذهن الشاعر، أرضى اللّجنة وآمرها. وسواء أكان الشرق - في النشيد الوطني اللبناني - بانتمائه المكاني أم بانتمائه العسكري، ففي كلّ ما يرضي القيّم ويشيد به.

وبعد، في (النشيد الوطني اللبناني) تعابير اتّكالية قدرية، لا يد للبشر فيها، كما في قول الشاعر: (صانه ربه)، وقوله: (اسمه عزّه). فهل يكفي المرء أن يكون

لبنانياً ليعيش مصاناً عزيزاً كريماً...؟ أم على كلّ لبناني - وعلى كل إنسان - أن يعمل جاهداً على صيانة ما وهبه ربّه، وعزّة وطنه..؟ الإجابة عند عبد الحليم الحجّار في (النشيد الشعبي)، لقد وضع يده على الجرح في وقت مبكر، وكشف الدّاء الذي طالما شكا منه اللبنانيون جميعاً، ولا يزالون، وجهر - في وقت عصيب - بوصف الدواء الذي طالما عمل المستعمر والمنتدب... على طمس معالمه، فرأى العزّة والكرامة بالإتحاد والحرّية (العز باتحادنا، الحرّ لا يذلّ). وَصْفةٌ يدرك كلّ طامع مفاعيلها. إنّما هل يدرك اللبنانيون - أو بعضهم على الأقّل - نجاعة تأثيرها؟!!

فيا بني الأوطان، اقرنوا القول بالعمل...

أمّا من حيث الإيقاع الموسيقي، فلا تسمع في (النشيد الوطني) صليل السيوف، وقصف المدافع، وصهيل الخيول، وقرع الطبول، ووقع الأقدام... الأصوات التي تسمعها في (النشيد الشعبي) إذا ما دقّ النفير. إنّما مهما تنوّع التوزيع الموسيقي، فأنت أقرب إلى التمتّع بموسيقى الغرفة الوترية، على أريكة وثيرة، منك إلى قعقعة الآلات النحاسية، وقرع الآلات الجلدية التي تنسيك نفسك، وتثير فيك الهمّة والنخوّة، ولا تريك في ساحة الوغى إلاّ عدوّك، وروعة الجهاد والفداء.

بالإجمال، كلٌ من رشيد نخلة وعبد الحليم الحجّار، مجيد في شاعريته (صنعة ومعنى وصورة ولحناً...). إنّما عزفا على آلتين مختلفتين، كانت آلة الثاني حينها - وربّما في كل حين - أشدّ وقعاً في نفوس المتلقّين وأفعل. لقد نظم رشيد نخلة نظماً يراعي ولا يعبّر، بينما نظم عبد الحليم الحجّار نظماً يعبّر ولا يراعي. وهذا - عندي - سبب وجيه ورئيس في ترجيح كفة تدخّل المنتدب في عملية الاختيار، إن لم يؤكده. ولعلّ التسجيلين التاليين يؤيّدان ما رأيت.

1- من الإذاعة اللبنانية:

بثت الإذاعة اللبنانية مقابلة[1] مع الأستاذ محمد فليفل[2]، من إعداد وتقديم الصحفية المذيعة أمل شعبان، تحت عنوان (قصة نشيد) - النشيد الشعبي - لناظمه عبد الحليم الحجّار. وقد قدمت لها بقولها: (شاعر تغنّى بوحدة وأمجاد لبنان تحت ظلال الأرز، ودعا لجعل هذا الوطن جنّة الخلد تكريماً لتربة الجدود. نشيد (الفخر في بلادنا)، والذي سمّي بالنشيد الشعبي، أنشده كلّ لبناني بالصوت العالي، العالي علوّ قمم جبال لبنان، وغنّاه هادراً هدير مياه لبنان، ونغمه تنغيم أمواج لبنان وسهوله).

- أستاذ محمد فليفل، ما هي قصة هذا النشيد، وبأيّة ظروف لحّن وأُطلق على أفواه الشباب؟
- لم تكن الأناشيد في ذلك الوقت (؟) عمّت، إنمّا عندما جاء الأستاذ عبد الحليم الحجّار وتقابلنا، وقال: عندي نشيد ممتاز، وأنشده، أجبت: أنا مستعدّ لحّن هذا النشيد. فيه مقاطع لذيذة جداً.
- (من شان هيك شالوه)؟[3]
- (الموت في جهادنا خير من استعبادنا...)

عندما لحنته وأطلقته، حفظه الشباب بجلسة واحدة، وغنّوه كأنهم هم وضعوه. وأنا عندما أسمعه أزداد قوّة، حتى(؟)[4] نشيدي (بريتم) عسكري.

غنّي محل النشيد اللبناني

- فيك تسمعنا مقطع[5] من النشيد؟

1- أُخذ نص المقابلة عن شريط مسجل كان بحوزة المرحوم عادل الحجّار، نسيب عبد الحليم الحجّار، ولم يلتفت فيه إلى تاريخ البثّ أو الإعداد.

2- واحد من الأخوين فليفل البيروتيّين، اللذين تولّيا تدريس مادة الموسيقى في كثير من المعاهد اللبنانية، ودور المعلمين والمعلمات. كما كان قائداً لموسيقى الدرك اللبناني.

3- المقصود: ألهذا السبب رفضته لجنة اختيار النشيد الوطني اللبناني، أيام الانتداب؟

4- لفظة غير مفهومة، لعلّها: أحلّي.

5- كذا في الأصل.

- الفخر في بلادنا ... نمشي على أكبادنا في الحادث الجلل.

هذا كلام أناشيد! ثمّ رفض الفرنسيون أن يكون النشيد الوطني، لأنّه يتضمّن المقاطع القوية التي تشبه نشيد (المارسيليان) عندهم. وأنا أخذت هذا النشيد ونشرته. أخذه اللبنانيون ونشروه في البلاد العربية. أخذوه في كل الأراضي اللبنانية. أفتخر وأرفع رأسي بهذا النشيد.

- ما هي ذكرياتك عن نشيد (الفخر في بلادنا)؟
- نشيد (الفخر في بلادنا)، بما جاء فيه من الحماس والوصف، في لبنان من أقوى الأناشيد اللبنانية التي لحنّاها وتقبّلها الشعب بحماس، واستحق اسم (النشيد الشعبي)، وقد انتشر هذا النشيد بفضل موسيقى الدرك اللبناني التي كنت قائدها. وكانت تعزفه، وتنشده في جميع المناسبات الوطنية.

2- من رسالة:

ومن رسالة صوتية مسجلة[1] أرسلها الأستاذ محمد فليفل، إلى المهندس حسين عبد الكريم الحجّار، في الولايات المتحدة الأميركية، نقتطع قوله:

... نظم عمّك النشيد سنة 1923 - 1924، بعد الاجتماع الوطني الحماسي الذي حضره لفيف من العلماء، وفضيلة المرحوم الشيخ محمد الجسر[2]، وغيرهم من رجال الوطنية، ليكون نشيداً لبنانياً وطنياً رسمياً، مطلعه: (الفخر في بلادنا والعز باتحادنا).

وما أن عَهَدَ إلينا بتلحينه ونشره، وتقديمه إلى المقامات الإيجابية، حتى أبت تلك المقامات، بحجة أنّه قويٌ على لبنان، وأنّه يثير ثورة وقوة واندفاع

1- نقل النص عن رسالة صوتية مسجلة كانت بحوزة المرحوم عادل الحجّار نسيب عبد الحليم، بدون تاريخ.

2- من الرؤساء اللبنانيين أيام الانتداب الفرنسي.

وحماس[1] يوقظ الشعور، وينبّه الشباب إلى ما لا يتوافق مع فكرة المنتدب المستعمر. بدليل ما جاء في المقطع الثالث: (الموت في جهادنا خير من استعبادنا...)، وبدلاً عنه، أقرت حكومة (كيلا)، حكومة الانتداب آنذاك نشيد رشيد نخلة الذي مطلعه: (كلنا للوطن...)

وحتى لا تذهب أتعابنا أدراج الرياح، أخذنا على عاتقنا نشره وتعميمه في مختلف المعاهد والمجامع والطبقات والطوائف اللبنانية التي أصبحت تنشده، وتطلقه في شتّى المناسبات والحفلات الوطنية، فيبعث في النفوس العزّة والكرامة.

1- كذا في الأصل.

عبد الحليم الحجّار وريث زعامة شعبية، ومرجعية وطنية في إقليم الخروب والشوف، سيكون لها شأنٌ في السياسة اللبنانية خلال النصف الأول من القرن العشرين. شخصية عاشت الثنائيات التناقضية على جميع الصعد، وكان لها موقعها الخاص بها الذي وإن بدا وسطياً توافقياً، إلاّ أنّه موقف كبقية المواقف تبنّاه الرجل، وعمل في حياته على تحقيقه، قولاً وفعلاً. فكان الأديب الإداري، والسياسي الموظّف الذي سخّر أدبه لخدمة فكره.

عبد الحليم الحجّار أديب ألمعي، وشاعر متميّز، ترك نتاجاً أدبياً ضخماً، لم ينشر - بعد - شيء منه!!![1] فله كتابات نثرية سيطر عليها محور السياسة والاجتماع، وقد ضمّنها آراءه ومواقفه الوطنية والقومية والاجتماعية. وله ديوان شعر مخطوط، بخطٍ منمنم جميل، تميّز بنفس حماسي طويل، لا سيّما في أغراضه الوطنية والقومية.

أديب موّظف ثائر متمرد عنيف... لم يجن من أدبه - على صعيد الوظيفة - إلاّ مناكفات الفرنسيين والسلطة، وكسر رتبته (نائب، محافظ، قائمقام). ولمّا

1- باستثناء بعض الخطب، والقصائد، كنشيده (الفخر في بلادنا).

الاشتراكي المتمثّل بوجود ابن العائلة، منسّق التيّار في الشوف، النائب الدكتور محمد رشيد الحجّار، في جبهة النضال الوطني، واللقاء الديمقراطي برئاسة النائب وليد جنبلاط.

أما على الصعيد الوطني، والثنائية التناقضية (التديّن - العلمانية)، فقد كان عبد الحليم الحجّار من القائلين بفصل الدين عن الدولة. وإن يكن قد حمل سنة 1919، بدقة مشاعر أبناء طائفته الإسلامية التي يمثلها إلى مؤتمر الصلح في باريس، فإنه كان شديد الحرص على المطالبة بحكومة ديمقراطية متحرّرة من كل شكل طائفي أو ديني. (فالدين لله والوطن للجميع).

وعلى الصعيد الوطني - القومي، والثنائية التناقضية (القومية العربية - القومية اللبنانية)، ففي وقتٍ مبكر، وقبل بداية الصراع السياسي اللبناني - الفرنسي، نظر عبد الحليم الحجّار إلى لبنان الوطن المستقل، نظرة دولة ذات شخصية مميّزة في مجموعة الدول العربية. دولة ذات حكومة ديمقراطية متحرّرة غير دينية. نظرة نظر إليها - فيما بعد - رياض الصلح، وصاغها الأخوان كاظم وتقي الدين الصلح، مخرجاً سياسياً أرضى - ولو إلى حين - بعض العروبيين المسلمين، وتلقفته (الكتلة الدستورية)، ولو مع بعض التحفّظ. فدم العروبة يسري في عروق أبناء إقليم الخروب والشوف بمختلف طوائفهم ومذاهبهم، وتنوّع مآربهم وأهوائهم السياسية... وعبد الحليم الحجّار رغم تشظيه، ومحاولة الفرنسيين استغلاله سياسياً، فهو واحد من الأدباء الموظفين الكبار الذين لم يسبحوا عكس التيّار. وإن اتخذ لنفسه - في وقت مبكر نسبياً - مساراً شحيحاً وسط تيارين جارفين، فإنه عربي الهوى، لبناني الانتماء. وهذا هو الاتجاه الغالب في السياسة اللبنانية المعاصرة، ومحور الدستور اللبناني وليد اتفاق الطائف[1].

1- أكّدت الوثيقة الاتفاق التي صدرت سنة 1989، عن مؤتمر الطائف - السعودية - للوفاق الوطني اللبناني، في أوّل مبادئها العامة على أن (لبنان وطنٌ سيدٌ حرٌ مستقل... عربي الهوية والانتماء). يراجع د. أحمد سرحال - وثيقة الطائف للوفاق الوطني ودستور الجمهورية اللبنانية - ص 15 - المكتبة العصرية - صيدا، بيروت 1993.

الخاتمة

منذ البداية، حرصت في هذا البحث على أشياء منها: أن أضع عنواناً جامعاً لمضمونه، لأنّ (وضع تأليف ما، كان يحتل أهمية كبرى في الكتابة العربية القديمة، باعتباره مفتاحاً لكل القضايا التي يعالجها المؤلف)[1]. فجهدت إلى ذلك وسعيت. ولجأت إلى الماضي القريب، من أجل المستقبل القريب، والمستقبل البعيد، لأنّ (دروس الماضي تفيد في امتحانات الحاضر)[2]، ففي بطونها الحِكَمُ ثاوية، ومن أرحامها تتوالد العبر وتتكاثر. فكان في سياق البحث إجابات متقدمة عن أسئلة تأخر طرحها، بدا لي أنّ أهمّها:

ما هي طبيعة العلاقة، وما مداها، بين من يملك فنّ الكتابة، ومن يملك زمام السلطة؟

وهل ثبت أنّ النتاج الأدبي العربي - في هذه الفترة - لغو أحاديث، واستكثار أقوال؟

1- د. عزالدين العلام - الآداب السلطانية - ص 39 - سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - فبراير 2006.

2- م. س. ن. ص 64.

أنّ الوقائع التأسيسية التي انبنى عليها الأدب السياسي[1]، (الأيديولوجي وغير الأيديولوجي) في العالم العربي، خلال النصف الأول من القرن العشرين، هي أرضية العلائق (المتجانسة أو المتنافرة) بين الأديب والحاكم. فجلّ أدب هذه الفترة - إن لم يكن كلّه - كان ردّ فعل على عمل سياسي، أو تبريراً له. وقلّ أن اتّسم برؤى يستهدي بها الحاكم والمحكوم على حدّ سواء. فظلّت الطبائع هي التي تحكم الحاكم، وليس ما يخطط له النتاج الأدبي.

فالأديب والسلطة - وبالتالي الأديب والحاكم - ثنائية متلازمة منذ القِدَم. ومن إفرازاتها؛ أدب إعلاني مأجور مدفوع الأجر مسبقاً. وأدب إصلاحي تحرري مجبول بالدم، ممهور بخاتم السلطان.

فالأدب الإعلاني بوق يردّد الصدى، أو ريشة تعزف على أوتار الآخرين، لا فضل لأديبه ولا ميزة. يفرح بحياة الواحد لماله، ويحزن بموته لانقطاع نواله. إنه كاتب (يستبكي ولا يبكي، ويسترحم ولا يرحم، ويحزن النفوس وهو ساكن، ويثير الثّائر وهو سالم...)[2]. فليس بأديب الذي يتّخذ من كتابته وسيلة إلى الحياة، وإلى حياة لا تمتاز بالاستقلال. بل الأديب من عاش لأدبه ومن أجله مهما تعاظمت العاديات والخطوب.

من هنا كانت نظرتنا إلى عبد الحليم الحجّار "الشخصية النموذج" نظرتنا إلى أديب موظّف ترك يوم وداعه هذه الدنيا، صفحة يقرأ فيها الناظرون في تاريخه - بتجرد ونزاهة - صورة نفسه، ومضطرب آماله، ومسرح أحلامه... كبعض الأدباء الموظفين غير المتشطرين من الذين عرضنا لهم. فهو على الأقل - من خلال نتاجه الأدبي وأعماله الوظيفية - لم يكذب الناس عن نفسه وعن نفوسهم، ولم يكن روّاغاً متخلّجاً يأمر اليوم بما ينهى عنه غداً، ويرى ساعة ما لا يرى في أخرى...

1- ما نقصد إليه، الأدب الذي تناول أعمال السلطة الحاكمة على مختلف الصعد.

2- مصطفى لطفي المنفلوطي - المؤلفات الكاملة الموضوعة - ص 32 - دار الجيل - بيروت 1980.

لقد كان صاحب موقع سياسي وطني وسطي توافقي "لبناني عربي مستقل". أرضى وأغضب، تمركز بين موقعين سياسيين متصارعين؛ الأوّل يدعو إلى لبنان عربي وحدوي مع محيطه العربي، لا سيّما سوريا "موقف القوميين العرب وغيرهم". والثاني يدعو إلى لبنان الملجأ المسيحي المنفصل عن محيطه العربي الإسلامي "موقف القوميين اللبنانيين".

ذلك الموقف الوسطي الذي تبنّاه عبد الحليم الحجّار، ولم يجن ثماره، إذ توفّاه الله قبل أن يتمكّن الدستوريون من تثبيت الحكم الاستقلالي، والذي تحوّل إلى لبنان الكيان بجناحيه: المسلم والمسيحي[1]. لم يجن منه لبنان واللبنانيون - وسط الصراع الإقليمي والدولي - سوى التناحر والتنافر والتمزّق... والارتماء في أحضان القوى الخارجية ذات المصالح الخاصة بها، مع ادعاء كل الأطياف السياسية اللبنانية حرصها على السيادة والحرية والعدالة...!

بناء على ما تقدّم، نرى إلى أنّ الحرية والعدل - وهذا لم يكن محقّقاً في العالم العربي - ثنائية مترابطة، وانفصام عرى هذا الارتباط يفضي إلى الدمار والموت والرويّة والتواضع - ومثل ذلك - هي الأطر التي يتوجّب على القادة "في الفكر والأدب والسياسة والاجتماع..." أن يسبحوا في فلكها - وهذا ما لم يكن محقّقاً كذلك - فالحلاّج، لمّا خلع خرقة الصوفية، وباح - غافلاً أو مضطراً أو زهواً - بما نال من حظوة، كانت نهايته الفاجعة.

والسؤال - في الختام - ما دام الأمر كذلك، لم يُجهِدُ الأدباء أنفسهم في نتاج ليس وراءه نتيجة (عمل)؟.

الجواب: قد يتبادر إلى الذهن، أنّي أدعو إلى الكّف عن الثرثرة!!! وهذا ما لم أقصد إليه البتة. إنمّا العكس هو الصحيح. فليكثروا، وليثروا... وعلى حدّ تعبير القولة الشعبية اللبنانية: (اضرب العجينة بالحيط، إن

1- شعار أطلقه صائب سلام من زعماء المسلمين البيروتيين، وأحد رؤساء الحكومات في عهد الاستقلال.

لم تلصق علّم مطرحها). أو حسب منظور الرؤية التربوية التعليمية (التكرار يعلّم الحمار!!)... إنما إلى متى ما دام عصر الأنبياء والمرسلين قد ختم بالنبي العربي محمد(ص)؟

ليت السماء تهبنا فيلسوفاً مشترعاً، حكيماً، رؤيوياً... يستغلّ الأنواع الأدبية. ولتصطرع الفِكَرُ.. فالشمولية والبقاء للأصلح... وقديماً قال أرسطو: «أنّ الرعيّة إذا قدرت على أن تقول، قدرت أن تفعل»[1].

1- د. عبد الرحمن بدوي - الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام - تحقيق وتقديم - ج 1، ص 80 - دار الكتب المصرية 1954.

الفهـارس

1- فهرس المصادر والمراجع

2- فهرس الأعلام

3- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

أ- المؤلفات:

1- د. إبراهيم أنيس - موسيقى الشعر - ط 5 - مكتبة الإنجلو المصرية - 1978.

2- ابن خلدون عبد الرحمن - المقدمة - ط 4 - دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.

3- ابن شاكر الكتبي - فوات الوفيات والذّيل عليها - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت 1973.

4- ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت، بدون تاريخ.

5- إحسان سركيس - الأدب والدولة - دار الطليعة - بيروت 1977.

6- أحمد حسن الزيّات - تاريخ الأدب العربي - ط 28 - دار الثقافة - بيروت 1978.

7- د. أحمد سرحال - وثيقة الطائف للوفاق الوطني ودستور الجمهورية اللبنانية - الكتبة العصرية - 1993.

8- أحمد بن محمد الشامي - مع الشعر المعاصر في اليمن - دار النفائس - بيروت 1980.

9- أحمد شوقي - الشّوقيّات - دار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ.

10-أحمد قبّش - تاريخ الشعر العربي الحديث - ؟ - 1971.

11-اسكندر الرّياشي - قبل وبعد 1918 - 1941، بيروت، بدون تاريخ.

12-بشارة الخوري - حقائق لبنانية - ج 1 - حريصا، لبنان - 1960.

13-توفيق الحكيم - فنّ الأدب - ط 2 - دار الكتاب اللبناني - بيروت 1973.

14-د. جودت فخر الدين - شكل القصيدة العربية - دار الآداب - بيروت 1984.

15-حافظ إبراهيم - ديوان حافظ إبراهيم - منشورات محمد أمين دمج - بيروت 1969.

16-خير الدين الزّركلي - الأعلام - ط 14 - دار العلم للملايين - بيروت 1999.

17-رجاء نقّاش - أدباء ومواقف - المكتبة العصرية - صيدا، بيروت، بدون تاريخ.

18-ريمون الكِك وجوزف الياس وآخرون - مواطن الغد، الحريات وحقوق الإنسان - المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم - 1998.

19-زكريا إبراهيم - مشكلة الحرية - مكتبة مصر - القاهرة 1971.

20-د. سالم المعوش - الأدب العربي الحديث - دار المواسم - بيروت 1999.

21-د. سالم المعوش - شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر - دار النهضة العربية - بيروت 2003.

22-سليم الحصّ - صوت بلا صدى - ط 2 - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت 2005.

23-شوقي ضيف - شوقي شاعر العصر الحديث - دار المعارف - مصر 1953.
24-صفي الدين الحلّي - ديوان صفي الدين الحلّي - تقديم كرم البستاني - دار صادر - بيروت 1990.
25-طه حسين - المجموعة الكاملة - دار الكتاب اللبناني - بيروت 1974.
26-د. عبد الرحمن بدوي - الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام - تحقيق وتقديم - دار الكتب المصرية 1954.
27-د. عز الدين العلاّم - الآداب السلطانية - سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - فبراير 2006.
28-د. علي شعيب - تاريخ لبنان الحديث من الاحتلال إلى الجلاء - ط 2 - دار الفارابي - بيروت 1994.
29-كمال الصليبي - تاريخ لبنان الحديث - ط 4 - دار النهار للنشر - بيروت 1978.
30-لاسل آبركرومبي - قواعد النقد الأدبي - ترجمة عوض محمد عوض - لجنة التأليف والترجمة والنشر - 1954.
31-محمد حسين المسيو الحجّار - تاريخ إقليم الخروب - مؤسسة البيادر - مزرعة الخلهر، لبنان 1978.
32-د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ط 3 - دار النهضة العربية - بيروت 1972.
33-محمد عبد المنعم خفاجي - دراسات في الأدب العربي الحديث - مكتبة الأزهر - القاهرة، بدون تاريخ.
34-د. محمد زغلول سلام - الأدب في عصر المماليك - منشأة المعارف - الإسكندرية، بدون تاريخ.
35-د. محمد مراد - العلاقات اللبنانية السورية - دار الرشيد للعلوم - بيروت 1993.
36-محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث - دار الثقافة، دار العودة - بيروت 1973.
37-د. مريم حمزة - الأدب بين الشرق والغرب - دار المواسم - بيروت 2004.
38-مصطفى لطفي المنفلوطي - المؤلفات الكاملة، الموضوعة - دار الجيل - بيروت 1980.
39-هربرت ماركوز - البعد الجمالي - ترجمة جورج طرابيشي - دار الطليعة - بيروت 1979.

ب - الدوريات:

- مجلة الطريق - عدد شباط - بيروت 1989.
- مجلة فصول - ج 1، عدد 1 - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ربيع 1992.

ج- وثائق وأوراق خاصة:

- أوراق خاصة، لم تنشر بعد، أعدّها الرئيس القاضي أنور الحجّار، للتعريف بعبد الحليم الحجّار.
- مخطوطة مصوّرة لقصيدة بخط عبد الحليم الحجّار.
- محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية، مذكرة رقم E 3311.

د- تسجيلات صوتية:

- من الإذاعة اللبنانية - مقابلة أعدّتها أمل شعبان مع الأستاذ محمد فليفل.
- رسالة صوتية من الأستاذ محمد فليفل إلى المهندس حسين عبد الكريم الحجّار.

هـ- مقابلات:

مقابلات مع شخصيات أكاديمية ومنزّهة، عاصرت الحدث أو كانت على علم به ودراية، لا سيّما أخبار عبد الحليم الحجّار على الصعد الاجتماعية والسياسية والوظيفية. فقد غلّفها النسيان، أو أخفتها الوثائق الرسمية، ولم تنشر بعد.

شخصيات حاولت أن تكون لي بمثابة المظان والمصادر، لمّا أعياني وجود المراجع المكتوبة. فكان منهم:

1- أنور الحجّار

قاض متقاعد في منصب الشرف، وحامل وسام الأرز. ولد في شحيم سنة 1924م.

حائز على إجازة في الحقوق الفرنسية من جامعة القديس يوسف في بيروت، سنة 1957م، وعلى إجازة أخرى في الحقوق من الجامعة اللبنانية عام 1958م.

مارس المحاماة إلى أن عُيّن في سلك القضاء عام 1964م. تقلّب في وظائف قضائية عديدة كان آخرها رئيس غرفة لدى محكمة استئناف جبل لبنان، ليتقاعد من الوظيفة القضائية عام 1992، ويعود عام 1993م إلى ممارسة مهنة المحاماة.

عُيّن رئيساً للمجلس التأديبي لموّظفي الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي. وعضو اللجنة العلمية المشرفة على مجلة قصر العدل التي تصدر عن نقابة المحامين في بيروت. وهو عضو مؤسس لرابطة قدامى القضاة في لبنان، وعامل فيها.

اشترك في عدّة مؤتمرات قانونية، وحاضر. وله دراسات فقهية وقانونية عديدة، ومقالات وأبحاث في الفكر واللّغة منشورة في المجلات المتخصّصة والصحف. وديوان شعر بعنوان « أرجوحة ضاعت في حرج بيروت »، كما صدر له مؤخراً كتاب « قراءة في الدستور اللبناني »، يتناول فيه: ميثاق العيش المشترك، نظام الحكم البرلماني في لبنان.

أجريت المقابلة الأولى معه، بتاريخ 18/3/2006.

2- خليل نصر الدين الحجّار

نسيب عبد الحليم الحجّار ومرافقه وسائس خيله في البدء. ثمّ كاتب محافظة طرابلس، فموّظف في مديرية الأحوال الشخصية في وزارة الداخلية اللبنانية، بصفة مأمور نفوس شحيم. توفّاه الله، وفي مكنونات صدره كثير من الأخبار السياسية التي كانت (تفبرك) خلف الكواليس، وكان حريصاً على كتمانها وفاء منه لسيرته مع عبد الحليم الحجّار.

أجريت المقابلة معه صيف 1997/، وقد أخذ فيها العهد منّي ألاّ أنشر شيئاً من أقواله قبل وفاته، فوفيت.

3- زهير الحجّار

مواليد شحيم سنة 1943م، يعمل في المؤسسة اللبنانية العامة للإسكان، بصفة مهندس معماري. أخذ كثيراً من الأخبار عن والده المرحوم عبد الغفّار، صهر عبد الحليم الحجّار، ورئيس دائرة السوق في لبنان (ت 6 أيلول 1990م)، لا سيّما ما يتعلق منها بأخبار عبد الحليم السياسية والمحلية.

أجريت المقابلة معه بتاريخ 2006/5/6.

4- زيد الحجّار

موظّف متقاعد، عمل في القطاع العام.

حائز على إجازة في العلوم السياسية والإدارية، وإجازة في التاريخ، وعلى ماجستير في التاريخ، وكانت رسالته تحت عنوان «الأمير شكيب أرسلان والجامعة الإسلامية».

سنة 1953م، بدأ التدريس في مدارس وزارة التربية الوطنية اللبنانية. وعام 1954م أوفدته الحكومة اللبنانية إلى الإدارة الثقافية الإيطالية، بصفة عضو في لجنة تعريب الإدارة الصومالية، من الإيطالية إلى العربية، بإشراف الأمم المتحدة. وبقي في الصومال حتى سنة 1956، حيث تولّى التدريس في دار المعلمين (مقاديشو)، وتدريس موظفي الدولة الصومالية على اختلاف رتبهم.

وبعد عودته إلى لبنان، كان سكرتير المفتش العام (الصحي والزراعي والاجتماعي)، في مديرية التفتيش اللبنانية لغاية العام 1963، حيث دخل معهد الإدارة في مجلس الخدمة المدنية، ليكون في العام 1965 من أوائل خريجي الدفعة الأولى.

شغل – بعد تخرّجه في معهد الإدارة – رئيس دائرة في مصلحة التخطيط للإنماء في وزارة التصميم اللبنانية، ثمّ كان رئيس مراقبي جبل لبنان في وزارة المالية، فمراقب رئيس في بيروت، فرئيس دائرة ضريبة الدخل في الوزارة المذكورة حتى تقاعد سنة 1995. وقد كان عضواً في لجنة الاعتراضات على الرسوم البلدية في محافظة جبل لبنان.

اشتهر بين معارفه وأترابه وزملائه... بنزاهة ونظافة كفّه.

أجريت المقابلة معه بتاريخ 2006/3/18.

5- عادل الحجّار (1934- 2000م)

خبير زراعي، خريج المعهد الزراعي العالي في بيروت.

اشترك في أكثر من دورة تدريبية زراعية في لبنان وخارجه، لا سيّما في الثروة الحرجية، والثروة الحيوانية المائية، وقد دام بعضها أكثر من سنة. أوفدته الحكومة اللبنانية إلى اليابان للتخصّص في شؤون تربية الأسماك.

كان يتقن بالإضافة إلى العربية والفرنسية، اللغتين الإيطالية واليابانية.

شغل في وزارة الزراعة اللبنانية عدّة مراكز، هي على التوالي:

أ-رئيس مركز الأحراج في راشيا الوادي.

ب- مساعد فنّي.

ت- مفتش الصيد البحري على طول الساحل اللبناني.

أجريت المقابلة معه صيف عام 1997.

6- محمد قاسم رشيد الحجّار

شحيمي ولد سنة 1954م. نائب في البرلمان اللبناني، وعضو اللقاء الديمقراطي البرلماني، ومنسّق تيّار المستقبل في الشوف، وعضو لجنة التكنولوجيا في اتحاد المهندسين العالميين، الأونيسكو – باريس.

حائز على ماجستير في الفيزياء من كليّة التربية في الجامعة اللبنانية، وعلى دكتوراه في الإلكترونيك من أكاديمية العلوم في مونبلييه – فرنسا، وعلى دبلوم مهندس كهرباء وإلكترونيك من جامعة الدولة في لياج – بلجيكا.

شغل قبل نيابته عن قضاء الشوف، المراكز التالية: رئيس قسمي الهندسة الكهربائية والإلكترونية في الشركة اللبنانية العربية للهندسة والمقاولات «لاسيكو». أستاذ محاضر في ملاك كليّة الهندسة في الجامعة اللبنانية، ورئيس سابق لقسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية فيها. وعمل لمدة سنتين في كلّ من: مؤسسة الحريري، بصفة مستشار تربوي، وفي شركة أوجيه –

لبنان، بصفة مدير مشروع بيروت. وله أكثر من ست وعشرين سنة خبرة عمليّة في الهندسة الكهربائية في كثير من مشاريع الكهرباء، وشبكات التوزيع، بالإضافة إلى الدراسات والإشراف على التنفيذ للعديد من المشاريع.

شغل – سابقاً – منصب نائب نقيب المهندسين في لبنان، وأمين مال النقابة، ورئيس اللجنة العلميّة، ولجنة المكننة فيها.

أجريت المقابلة معه بتاريخ 2006/3/25.

7- مزيد الخطيب

شاعر مجيد وكاتب مبدع، لا سيّما في الوطنيّات والقوميّة والإسلاميات. كان في العاشرة من عمره عندما قصد يوسف بك العظمة الشيخ إبراهيم الخطيب في جولة تطوّعيّة للجهاد في إقليم الخروب. فألقى بين يديه خطاباً حفظه غيباً عن ظهر قلب، أُعجب به العظمة، فقال: «احتفظوا بهذا الغلام فسيكون له شأن».

تلقّى علومه الأولى في مدرسة الأتراك في صيدا، ثمّ قصد دمشق. ولمّا أنهى دراسته، اشتغل بالأدب، وكتب في الجرائد السورية في دمشق وحماه.

سنة 1953، رجع إلى لبنان، وعمل مدرّساً في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وبخاصة في مدرسة (قبّ الياس).

في سوريا ولبنان، عاش هاجس ملاحقة الفرنسيين له. مات وهو يعيش حلم الوحدة العربية.

له مراسلات مع الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وكثير من الشعر المنشور وغير المنشور. ومن مؤلفاته: من أعماق الثورة العربية (صودر من المطبعة في دمشق قبل أن يرى النور)، والتغلغل الأجنبي في الجزيرة، وكتاب الشعر والشاعرية والشاعر، ونفثات في النثر والشعر، والآمال الضائعة، ورباعيّات الخطيب، وكتاب من وحي الإسلام، وديوان خواطر، وسدّ مأرب، وتاريخ دولة الأنباط....

فهرس الأعلام

- أ -

إبراهيم الحضراني: 55-63

إبراهيم عبد اللطيف الخطيب: 90-92

إبراهيم يوسف الخطيب (الشيخ):90-92-93-98

إبراهيم شكر: 38-39-63

إبراهيم الأسطى عمر: 40-41-64

إبراهيم المنذر (الشيخ): 109

إبراهيم اليازجي (الشيخ): 102

ابن خلدون: 18-19

أبو زيد الأنصاري: 17

أحمد أرسلان (الأمير): 72

أحمد إبراهيم زغلان الحجّار: 100

أحمد بن بيلا: 55

أحمد حسن الحجّار: 123

أحمد يوسف الخطيب (الشيخ): 90

أحمد يونس الخطيب: 90

أحمد الداعوق: 84

أحمد علي الشارف: 43-63

أحمد بن محمد الشامي: 56-57-62

أحمد شوقي: 33-35-36-41-60

أحمد بن عبد الملك العزازي: 114

أحمد فؤاد (الملك): 33-46-61-62

أحمد فليفل: 111

أحمد رفيق المهدوي: 44-45-63

أحمد بن يحيى: 55

أدال عبد اللطيف الخطيب: 92

أديب الخطيب: 91

أديب الشيشكلي: 55

أرسطو: 19-127

اسكندر فضّول البستاني: 107

إسماعيل (الخديوي): 35

إسماعيل حقّي (المتصرف): 92-97-98

ألفرد نقّاش: 84

الياس الحوّيك (البطريرك): 76-104-105

الياس فيّاض: 109

أمل شعبان: 118-119

إميل إدّه: 76-77-78-79-82-83-84-87-103

أنطوان عريضة (البطريرك): 79

أنطون سعادة: 82

أنور الحجّار: 132-133

أنور الخطيب: 90

أوغست أديب (باشا): 78

أيوب ثابت: 81-86

- ب -

بترو طراد: 86

بدر الدين الحامد: 44-63

بدر شاكر السيّاب: 47-63

بريفا أوبوار: 77-80

بشارة الخوري (الشيخ): 78-79-83-85-86-87-107

بشارة عبدالله الخوري (الأخطل الصغير): 110

بشير الثاني (الأمير): 73

بطرس البستاني (المعلّم): 74

بهيج الخطيب: 91

بيار الجميّل (الشيخ): 82

- ت -

تقي الدين الصلح: 85-142

توفيق (الخديوي): 35

توفيق الحكيم: 20

تولستوي: 19

ثيودور روزفلت: 34

- ج -

جان حكيّم: 107

جعفر الجواهري: 51

جمال (باشا): 46-97-99

محمّد سرور الصبّان: 49-50-62
محمّد عبده (الشيخ): 34
محمّد غنيمي هلال: 19
محمد فليفل: 111-118-119
محمّد حسين هيكل: 36
مزيد الخطيب: 93-135-136
مسعود سماحة:109
مصباح الخطيب: 90
مصطفى أرسلان (الأمير): 100
مصطفى الغلاييني (الشيخ): 39-40-63
مصطفى لطفي المنفلوطي: 34-35-61
معبد (المغنّي): 110
المقّري: 17
منتهى حسين الحجار: 101
مهدي البحير (محمد عبد الحسين): 50-63
مهيبة يوسف الخطيب: 92
ميشال زكّور: 108
- ن -
نايفة حسين الحجّار: 101
نجيب أميوني: 109
نجيب عبد الملك: 103
نجيّة حسين الحجّار: 100
نسيب الخطيب: 91
نعّوم لبكي: 77
نور الدين علم الدين: 106
نوري السعيد: 53
نوزاد (بك): 90
- هـ -
هربرت ماركوز: 20-21
هشام قبلان: 99
هلال بن بدر البوسعيدي: 53-54-61
هللو (الجنرال): 86-87
هند حسين الحجّار: 92-99
هنري بونسو: 80
هنري دانتز: 84
هنري غورو (الجنرال): 74-77-93-98-105
هنري لامنس: 74
- و -
وديع صبرا: 110
وديع عقل: 109
وليد جنبلاط: 123
ولي الدين يكن: 33-62
- ي -
يحي (الإمام): 55
يوسف أفندي الخطيب (الشيخ): 90
يوسف العظمة (بك): 92-93
يوسف عيد (القس): 93

فهرس الموضوعات

		صفحة
المقدمة:		7
الباب الأول:	الأدب والأدباء الموّظفون	13-66
الفصل الأول:	الأدب	15-28
	• الأدب: ماهيّته وأغراضه	17
	• الأدب والحرية	23
	• الكتابة والسلطة	25
	• الإبداع الأدبي	27
الفصل الثاني:	أدباء موّظفون	29-65
	• تمهيد	31
	• ولي الدين يكن	33
	• عبد الحليم حلمي المصري	33
	• مصطفى لطفي المنفلوطي	34
	• أحمد شوقي	35
	• حافظ إبراهيم	36
	• عبد الحليم بن باديس	37
	• عبد الرحيم قليلات	38
	• إبراهيم شكر	38
	• مصطفى الغلاييني	39
	• إبراهيم الأسطى عمر	40
	• محمد بن إبراهيم ابن السرّاج	41
	• فؤاد الخطيب	42
	• أحمد علي الشارف	43
	• خليل مردم بك	43
	• بدر الدين الحامد	44
	• أحمد رفيق المدوي	44
	• عمر الزّعنّي	45
	• فارس الخوري	45
	• عبّاس محمود العقاد	46
	• بدر شاكر السيّاب	47
	• رئيف خوري	48
	• محمد سرور الصبّان	49
	• مهدي البصير	50
	• خير الدين الزّركلي	50

- محمد مهدي الجواهري 51
- عبد الوهاب البيّاتي 53
- هلال بن بدر البوسعيدي 54
- محمد العيد محمد علي خليفة 54
- إبراهيم الحضراتي 55
- سليمان العيسى 55
- أحمد بن محمد الشامي 56
- مالك حدّاد 57
- خلاصة وتصنيف 59

الباب الثاني: عبد الحليم الحجّار، الشخصية النموذج من لبنان 67-130

الفصل الأول: لمحات؛ تاريخية وسياسية وإدارية 69-93
- لبنان؛ لمحة تاريخية وسياسية 71
- إقليم الخروب وشحيم؛ لمحة سياسية وإدارية 89

الفصل الثاني: عبد الحليم الحجّار 95-124
- هويته وأسرته 97
- زعامته 99
- نشأته وتحصيله العلمي 101
- محطات في حياته 102
  - أ- المناصب والإنجازات 102
  - ب- قصة وطن 104
  - ج- موقف الفرنسيين منه 105
- قصة نشيد 109
  - أ- اختيار النشيد الوطني اللبناني 109
  - ب- قراءة في (النشيد الوطني) و(النشيد الشعبي) 114
  - ج- من الإذاعة اللبنانية 119
  - د- من رسالة 120
- محصّلة عامة 123

الخاتمة 127

الفهارس 131-144
- أ- فهرس المصادر والمراجع 133
- ب- فهرس الأعلام 139
- ت- فهرس الموضوعات 143

المركز الإسلامي الحضاري
مكتبة [illegible]
الرقم .....

هذا الكتاب

قراءة في الحرية والإبداع. والعلائق التي تربطهما في النتاج الأدبي. في حدود ا
الحديث والمعاصر. بشكل عام. وعند الأديب الموظف في العالم العربي بشكل خاص.

قراءة توصيفية في مساحة زمنية مضت. عكست واقعاً ما زلنا نحن العرب نع
فيه. ونجهد علّنا نحقق ذاتنا في كيانات (الكيان الواحد) العولمة.

قراءة تعيش مشكلة الحرية والضرورة. وتتطلّع إلى الأدب في درجته السّ
الحاجة الماسّة والفاعلية الإنسانية الراقية. وتتلمّس مكانة الأديب الموظّف إزاء
لضرورة اللّغة. الفنّ. المجتمع. السّلطة..

قراءة تقرأ في تأريخ صفحات من الماضي. كتب بعضها بالقلم، وكتب بعضها
بالدّم. وتعرض لطبيعة العلاقة بين من ملك فنّ الكتابة. ومن ملك زمام السّلطة
اصطراع الفكر. في عصر التكنولوجيا. والعالم القرية. وفي إطار معركة المصير الذ
زلنا نخوضها، يكون سلاحنا. ولا سلاح غيره. في مجابهة المستجدّات التي تجابهنا و
أن نجابهها.

مؤسسة الرحاب الحديثة
طباعة - نشر - توزيع